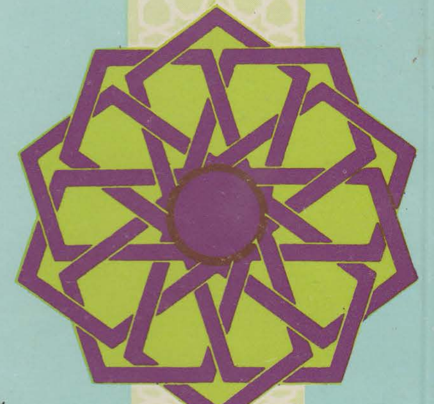
لقاء مع الأبرار

«٧»



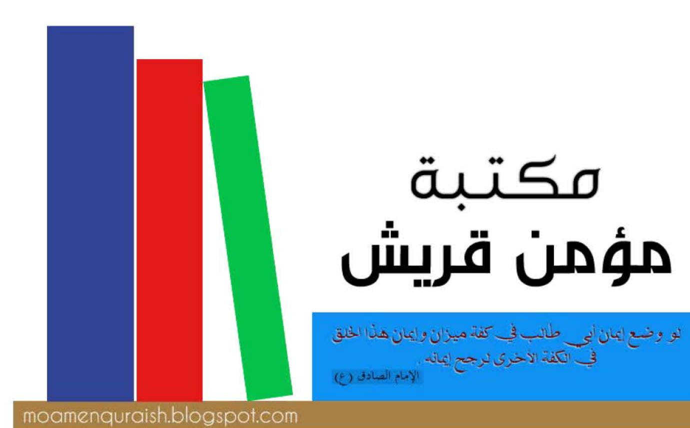
السيّد محمّد تقي

الخونساري

على ينابيع الشهود

تأليف حسن ايدرم

ترجمة كمال السيّد


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الاخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمْ

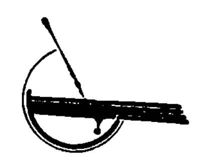
السيّد محمّد تقي



علىٰ ينابيع الشهود

تأليف حسن ايدرم

ترجمة كمال السيّد



ايران ـ قم ـ شارع الشهداء ـ مؤسسة أنصاريان
ص . ب ١٨٧ ـ هاتف ٢١٧٤٤

اسم الكتاب :	السيّد محمّد تقي الخونساري
المؤلف :	حسن ايدرم
المترجم :	كمال السيّد
صفّ واخراج :	محمّد افتخاري ـ تلفون ٦١٩٤٠٣
المطبعة :	صدر
الطبعة الاولى :	١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م
الناشر :	مؤسسة أنصاريان
عدد المطبوع :	٣٠٠٠

المحتويات

الفصل الأوّل (الهجرة)

الفصل الثاني (في رحاب العلماء)

الفصل الثالث (فوق قمم المجد)

الفصل الرابع (المرجعية)

الفصل الخامس (الصلاة)

الفصل السادس (صلاة المطر)

الفصل السابع (الحج الامثل)

الفصل الثامن (الفضائل)

الفصل التاسع (فتاوىٰ الغضب)

كلمة الناشر

عديدة هى الطلبات التي تلقّتها مؤسسة أنصاريان سواء عبر الهـاتف أم خلال رسائل القرّاء الكرام، وكلّها كانت تدور حول كتب تتحدث عن حياة العلماء من الذين كان لهم دور مشرق في عالم الفكر و دنـيا العـلوم، وقـد عكفت المـؤسسة عـلىٰ دراسـة المـوضوع بـاهتمام، اسـتجابةً للـرغبات المخلصة المتعطشة للثقافة الإسلامية ورموزها.

واذ تقدم «أنصاريان» سلسلة ـ لقاء مع الأبرار ـ فإنّها تـتمنىٰ أن تـلقىٰ الرضا والقبول من لدن جميع القرّاء الكرام، والله الموفّق.

مؤسسة أنصاريان

تمهيد

يقوم الهجوم الثقافي علىٰ دعامتين؛ الأولى: تـحقير الثـقافة الأُصـلية، والثانية: التهويل للثقافة البديلة والغريبة في نفس الوقت. ومن خلال هـذا الاستلاب الثقافي واحتقار الثقافة العريقة يشعر الشعب بحالة من الصـغار تجاه الآخرين، غافلا عن ثقافته وما تحويه مـن الكـنوز الثـرّة، مسـتجدياً الغرباء، عارضاً حضارته وتمدّنه بثمن بخس.

ولقد عمل النظام البهلوي البائد علىٰ تكريس هذه السياسة في التعامل مع الغرب كاأله للحضارة والمدنية والفن بل وحتىٰ الأخلاق والدين، وطرح الشرق باعتباره مثالاً للوحشية، والتخلف، وفي أحسـن الأحـوال: العـالم الثالث عالم الدول النامية؛ ولقد نجحت تلك السياسات الشيطانية إلىٰ حدّما وأصبح الغرب فى نظر الكثيرين ـ خاصة الشباب ـ يمثّل العالم الحرّ المنافح عن حقوق الإنسان والمدافع عن الديمقراطية والحرّية.

ولكن وكما يقال فإنّ الشمس لا تبقىٰ خلف الغـيوم إلىٰ الأبـد، وبـدت الحقائق واضحة وبدأ عهد الصحوة الإسلامية.. العـهد الذي يـتّسم بـعودة

الجيل الحاضر إلىٰ فطرته وقرآنه وعقيدته ورموزه.

وبالرغم من هذه الاشراقة التي تبشر بالخير الوفير فإنّ حالة الاستلاب الفكري وفي كثير من المجالات الحساسة ماتزال تعاني ذيول التأثيرات الغربية.

فما تزال شهادات الغرب تخطف أبصارنا، ومايزال الدواء الذي لا يحمل اسماً غربياً طناناً، عديم التأثير والفائدة، ومايزال الكثير من مظاهر الثقافة الغربية متغلغلاً بل ومتجذّراً في تربتنا، ومايزال الغرب يختار لنا الزي الذى نلبسه، ويعيّن نوع المداليات التي تمنح كجوائز للفائزين، وننتظر منه حتىٰ الجوائز الأدبية التي يسيل لها لعاب الكثيرين. ولكن هل من الصحيح أن نعدّ الغرب مثالاً؟ الغرب الذي ظهر علىٰ حقيقته بشعاراته الجوفاء.. وبدعاواه الفارغة في الدفاع عن الديمقراطية وحقوق الإنسان.

لماذا هذا الشعور بالنقص تجاه جلاّدي القرن الخامس عشر الهجري؟!

فالغرب الذي يمنح جوائزه «الأدبية» إلىٰ عديمي «الأدب» من أمثال سلمان رشدي، في الوقت الذي يصدّر أو امره بحرمان الطلبة المسلمين من الإشتراك فى أولمبياد الفيزياء، مازلنا ننظر إليه كمثال، بالرغم من تمييزه العنصري المقرف.

ان علىٰ العالم الاسلامي أن يسعىٰ بجدّ إلىٰ تشكيل «نظام دولي إسلامي» وأن يقطع كل آماله من شعارات الغرب في الديمقراطية والحرّية والدفاع عن حقوق الإنسان.

وهل هناك أمل ونحن نشهد ماجرىٰ ويجري في الأرض الإسلامية في

«البوسنة والهرسك» و «الجزائر» و «فلسطين»؟ وليعلم كل مـن يـهمه أمـر المسلمين أنه لا ملجأ إلاّ في العودة إلىٰ أحضان القرآن وظلاله الوارفة.

و «**لقاء مع الأبرار**» خطوة في الطريق ـ طريق العودة الىٰ الذات مـن خلال الإشارة إلىٰ نجوم الفكر الإسلامي.. اولئك العمالقة الكبار الذين تضيع فى عوالمهم وآفاقهم الرحبة زعماء العقائد الأخرىٰ ومفكروها.

ان أشدّ مايرهب الغـرب ويـرعبه، هـو عـودة الأمّـة الىٰ هـوّيتها.. إلىٰ رموزها.. إلى اولئك الذين مهّدوا مـن خـلال جـهودهم المـتظافرة طـريق الإسلام اللاحب.

ولقد أخذت «**لقاء مع الأبرار**» عهداً علىٰ استكشاف مـعالم سـبعين كوكباً مضيئاً في سماء الفكر الإسلامي، وتقديمهم معالم منيرة فـي طـريق البناء.. بناء الحضارة الإسلامية من جديد.

قم ـ مؤسسة باقر العلوم للبحوث

مقدمة المترجم

ربّما خطرت في بال السياسة البريطانية «توظيف الشيعة في الانقضاض علىٰ الامبراطورية العثمانية» باعتبارهم اقلية مضطهدة عبر القرون. وكـان من المنطقي جداً أن يهبّ الشيعة لمساندة جيوش (التـحرير) الانكـليزية، وهي تجتاح الأرض العراقية.

وكانت المفاجأة أن المقاومة الرئيسية التي جابهت الجيوش المـتقدّمة كانت من الشيعة انفسهم، وبقيادة الزعامات الدينية التي عانت الامرّين من السياسة التركية الطائفية. وفي تـلك الحـقبة ولدت السـياسة البـريطانية المتشنجة تجاه الشيعة.

وكان الخونساري (الايراني المولد) شاباً يدرس الديـن فـي الحـوزات العلمية في مدينة النجف الاشرف ابّان الحملة البريطانية علىٰ العراق، فهبّ للقتال مع ابناء الشعب العراقي للدفاع عن ارض المقدسات، متناسياً الحقد التركي البغيض، وقد جُرح اثناء المعارك الضارية التـي دارت رحـاها فـي الجنوب، وأوقفت التقدم الانكليزي.

وقد أدت المواقف التركية المتخاذلة، ثم سقوط بغداد دون مقاومة تذكر الىٰ فتور روح الحماس لدىٰ القوات الشعبية، ثم تشتّتها.

ولقد شنّ الانكليز حملة من المطاردة لإلقاء القبض علىٰ المشاركين في المقاومة، فأُلقي القبض علىٰ الخونساري، وسيق الىٰ ميناء البصرة، ريثما تصل السفينة التي ستحمله مع المئات الىٰ منفاه في احدىٰ جزر سنغافوة.

وبعد اربعة اعوام قضاها الخونساري في المنفىٰ عاد الىٰ وطنه وهو اكثر تصميماً وعزماً علىٰ الصراع والجهاد ضدّ الانكليز.

ولعل الخونساري كان يمثل الموقف الوسط بين دويّ الكاشاني وهو يهتف من اعماق السجن مخاطبا الانكليز: اذا بقيت حياً فسأعمل علىٰ حرمانكم من النفط الاسلامي، وبين صمت البروجري المحيّر، فكانت فتاواه تصدر هادئة تحمل روح الثورة وصلابة المقاومة، وكان يدرك تماماً «ان اللّٰه لايغير ما بقوم حتىٰ يغيروا ما بانفسهم». فالحرب مع الظالمين تتطلب ـ ايضاً ـ حرباً علىٰ نقاط الضعف في حياة المظلومين.

لقد شهد الخونساري رحيل الانكليز عن ايران، وتسلّل قوة جديدة متمثلة بالنفوذ الامريكي. ويكفيه فخراً أنّ احد تلامذته؛ وهو الامام الراحل قد واصل ذات الطريق، وتمكن في النهاية من اشعال ثورة شعبية كبرىٰ أطاحت بالعهد الملكي، ثم بناء ايران حرّة، مستقلة، تبشر بعهد جديد.

كمال السيد

الفصل الأوّل
الهجرة

خونسار مدينة الينابيع

خونسار مدينة جميلة... مدينة الينابيع المتدفقة... مدينة عريقة، تضرب بجذورها في اعماق التأريخ الايراني، ويرد اسمها في التأريخ الاسلامي كواحدة من ابرز المدن الشيعية في وسط ايران، وكان لعلمائها دور في نشر التشيع في هذه البقعة من دنيا اللّٰه.

ترتفع عن سطح البحر ٢٤٠٨ متراً، وهذا الارتفاع كفل لمدينة خونسار[١] جوّ المناطق الجبلية المعتدل. وفي احضان الطبيعة حيث الجبال والعيون المتدفقة بالحياة، اكتست المدينة خضرة زاهية تنبض بالحياة... الحياة المتدفقة... تدفق الجداول وهي تشقّ طريقها بين الجبال بخريرها

---

(١) ذكرها ياقوت الحموي في كتابه الشهير (معجم البلدان) خانيسار وخانِسار، وهي بمفردها تعني (چشمه) اي العين او النبع. واذن، فان خونسار تعني العين او النبع.

الهادئ ومياهها العذبة الصافية. امّا عين «كاسونش» فتفوق جميع ينابيع الدنيا في صفائها وجمالها، اذ تنحدر مياهها من إرتفاع ثلاثمئة متر.

ربيع الذكرى:

اطلّ شهر رمضان ربيع الذكر، وربيع القرآن، وتفتحت براعم الأمل في منزل السيد الكبير اسدالله، وامتلأ البيت بدفء شهرالله، حيث تمتمات الدعاء تتلألأ في الفضاء، ممتزجة بتلاوة خاشعة من آي القرآن الكريم، ونهر الزمن يمرّ بربيع جديد من سنة ١٢٦٧ هـ. ش[١].

والسيد اسدالله ـ كآبائه ـ يسعىٰ في إقامة صلاة الجماعة بابهىٰ ما تكون.. يسعىٰ أن تكون نهراً يغسل ارواح المؤمنين ويطهرهم تطهيرا. كلماته الممتزجة بشذىٰ رمضان تنتشل الروح من درن الجسد ليسمو بها في فضاء مترع بالنور.. يسقيها من ينابيع القرآن المتدفقه زلالاً. حديثه الروحاني يحرر الارواح من أهاب الاجساد المثقلة بالمادّة، يقودها الىٰ ينبوع الخير، لتنهل منه صفاءً وطمأنينةً وسلاما.

مرّ شهر رمضان نهراً تغتسل به الارواح.. تسبح في رحمة اللّٰه.

وقفت زوج اسداللّٰه علىٰ شاطئ النهر تتحسر أنها لا تستطيع أن تشارك المؤمنين في فرحة الربيع.

---

(١) ١٨٩٠ م ـ المترجم.

واطلّ الوليد

الأمومة فنّ المرأة العظيم.. عذاب مقدس يفتح نافذة الأمل بوجه وليد جديد، وأمل جديد... عذاب فريد لاتحتمله سوىٰ الأمهات... .

سيد اسداللّٰه جالس في زاوية من البيت يتضرع الىٰ اللّٰه من اجل زوجه... فامرأته قد جاءها المخاض. .لعلّه كان يتلو سورة مريم..سورة تهب السلام من يرتل آياتها... مريم تتبتل الىٰ اللّٰه... ولما جاءها المخاض عند جذع النخلة، قالت: **يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسياً منسيّاً**.. والمسيح في حنايا الظلمات الثلاث يفتح نافذة من الأمل... والحياة مرهونة بآلام الامهات.. آلام تشبه آلام الأنبياء.

ويطلّ الوليد.. و تنتقل البشرىٰ.. انه صبي.. وتنطلق أسارير الأب، فيحتضنه ملفوفاً بمنديل ناصع نصاعة السحب البيضاء... فيشبعه تقبيلاً، شاكراً أنعم اللّٰه عليه. ويولد اسمه.. ويهتف الوالد باسمه: محمد تقي!

نسبه: سيّد من **شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربّها**.. جذورها ممتدة في اعماق التاريخ واغصانها تفوح بالعلم والفضيلة والتقوىٰ.

يذكر مؤلف دائرة المعارف، في رسالته «عديمة النظير» نسبه كالآتي:

«السيد محمد تقي الخونساري، ابن العلّامة سيد أسداللّٰه، ابن المحقق سيد حسن، ابن العالم الاجل سيد ابوالقاسم، ابن العالم سيد حسين، ابن العالم النابغ الحاج ميرزا ابوالقاسم (جعفر)... .

ويستمر مستعرضاً الآباء والاجداد، حتىٰ يصل الىٰ ينابيع العصمة والطهر والعلم.. الىٰ الامام موسىٰ بن جعفر الكاظم عليه السلام[1].

الأجداد

وهذه نظرة خاطفة علىٰ بعض اجداده:

جدّه الرابع: أبوالقاسم جعفر بن حسين، المولود سنة ١٠٩٠ هـ. ظهرتْ عليه علامات النبوغ في صباه، فقد طوىٰ الدروس الاساسية والمتوسطة في العلوم الاسلامية، ولم يبلغ الحلم بعد. في هذه السن كان له حضور في حلقة العلاّمة المجلسي؛ له مؤلفات عديدة من بينها: «رسالة في الوجوب العيني لصلاة الجمعة» و «المنظومة العربية»، وسبعة تصانيف أخرىٰ، كما كان خطاطاً بارعاً، تشهد بذلك مخطوطاته.

ترك اصفهان متوجهاً الىٰ خونسار بناءً على طلب أهلها، وذلك إبّان اشتعال الفتنة الأفغانية ـ في نهاية حكم الصفويين.

امّا جدّه الثالث: آية اللّٰه الحاج سيد حسين، فيعدّ من كبار المحققين في مضمار العلوم الاسلامية، وأضحت مدينة خونسار في عهده مركزاً من مراكز العلم.

تخرج علىٰ يديه العديد من العلماء والمجتهدين؛ في طليعتهم المحقق

---

(١) مجلة «مجموعه حكمت» السنة الأولىٰ العدد ١٢ ص ١٢ ، ١٣ وآثار الحجة ج ١ ص ١٤٣.

النابغة الميرزا القمّي، فقد أقام الميرزا مدّة طويلة في خونسار متتلمذاً علىٰ يد العلّامة الحاج سيد حسين.

ومن صفاته الاخلاقية التي تحلّىٰ بها:

١ ـ انه لم يترك صلاة الليل أبداً،

٢ ـ يقرأ كل يوم زيارة عاشوراء.

٣ ـ لم يترك صلاة الجماعة أبداً. فاذا قامت الصلاة وهو في المنزل أمّ افراد اسرته.

٤ ـ كان إماماً للجمعة في المسجد الجامع للمدينة، الذي بني خصيصاً لذلك.

٥ ـ تضامنه مع الفقراء وسعيه في قضاء حوائج الناس.

اما جدّه الثاني السيد أبو القاسم العالم الورع، فقد كان علىٰ منزلة سامية من الزهد والتقوىٰ والصلاح، وقد بلغ زهده حدّاً ترك أثره العميق في نفوس الناس، وكان مستجاب الدعوة، وله كرامات في ذلك.

اجازه والده في الاجتهاد، كما اجازه السيد بحر العلوم ايضاً.

في المكتب

ويكبر الصبي.. يتفتح علىٰ الحياة شيئاً فشيئاً.. يلعب مع اترابه ويمرح.

الايام تمضي بسرعة، ويبلغ الصبي السن التي تؤهله لانتهال المعرفة، الحياة تنطوي علىٰ غاية وهدف يسعىٰ الانسان الىٰ بلوغهما؛ ومن هنا تظهر

قيمة الحياة، والانسان.

تفتحت أمامه أبواب المكتب، فتجلت فطنته، وظهر ذكاؤه ونبوغه، فراح يعبّ من العلوم ويتفوّق علىٰ اترابه.

والىٰ جانب العلم في المكتب، كان أبوه لايفتأ يغذيه بالاخلاق الكريمة ويصهر شخصيته في بوتقة الصفات الحميدة. فكان الولد علىٰ سرّ أبيه.

ويخط القرآن

ويمتاز علىٰ أقرانه.. يتخطاهم عقلاً وفكراً، ينطلق في رحاب الروح، يحلّق في سماء القرآن.. يغوص في بحره العميق. وعندما تعلّم كيف يكتب، تعلّم ايضاً كيف يخطّ كلماته والحروف بخطّ جميل، عندها تاقت نفسه لأن يخط كلمات السماء بيراعه لتكون علاقته بالقرآن أوثق، ويكون القرآن له مشعل هداية وسراجاً منيراً. وفكر في أن يضع ذلك الانجاز الضخم في المسجد، حيث المنائر المضيئة والمكان المقدس الآمن.

وتمضي الايام، ويمضي محمدتقي في عمله دون شعور بالوهن أو التعب.

انه يبدو سعيداً وهو يواكب كلمات السماء.. كلمة بكلمة وحرفاً بحرف.. يحلّق في عوالم من النور. يعبق فيها شذىٰ الجنان الخضراء. وتتناثر كلمات السماء في اعماقه لتورق وتنمو فضائل رفيعة وخصالاً طيّبة وقانوناً اخلاقياً يحدّد طريقه في الحياة باستقامة وصبر.

وهكذا ينجز الصبي عمله العظيم في خط القرآن الكريم في ستين

صحيفة. وكانت الرحلة شاقة صعبة، اجتازها الصبي بنجاح. وعندما اتمّ عمله الكبير، شعر بسعادة كبرىٰ، فانحنىٰ يقبّل القرآن بخشوع، شاكراً اللّٰه علىٰ توفيقه في ذلك. ويضم كتاب السماء الىٰ صدره تعبيراً عن عاطفة الحبّ التي تفجّرت ينابيعها في قلبه الصغير.

حوزة خونسار

وتنتهي أيام المكتب، ومازال سيد محمّد تقي يشعر بالظمأ، وكأن المكتب لم يعد يروي ظمأه ويطفئ غليله.

ويهمس سيد محمد تقي في أذن أبيه ذات يوم:

ـ اريد أن اصبح عالماً مثلك يا أبي.

وتنطلق اسارير الوالد الرؤوف وهو يرىٰ نجله يتوق إلىٰ احتضان إرث الآباء والاجداد.

كانت حوزة خونسار قد ازدهرت في تلك الأيام. انها بركات العلماء من تلك الاسرة العريقة. وهكذا كانت الخطوة الثانية لسيد محمد تقي، فاقبل علىٰ انتهال العلم من ينابيعه الصافية، فقطع في ذلك شوطاً بعيداً، فلم يبلغ من العمر السابعة عشرة حتىٰ طوىٰ آداب العربية، واساسيات العلوم الاسلامية، اضافة الىٰ قدر من الفقه والاصول ومقدمات السطوح.

وفي هذه السن استنفد كل ما يصبو اليه في حوزة خونسار، فراح يتطلع نحو الآفاق البعيدة.. الىٰ مركز العلم، وحاضرة الفقه.. الىٰ مدينة النجف

الاشرف، فيستشير في ذلك أباه، ويبثه همومه وتوقه الىٰ الرحيل من اجـل تحصيل العلوم الاسلامية.

الهجرة

الصمت الحزين يهيمن علىٰ منزل سيد اسداللّٰه، فاليوم هو اليوم الاخير، وسيد محمد تقي علىٰ أهبة السفر.

دموع الام تنهمل بصمت كمطر حزين، وبدا وجهها مغسولاً بـالدموع... دموع الفراق، وعزاؤها الوحيد أن ابنها يريد تسـلّق قـمم المـجد؛ وصـعود الجبال يلزمه الصبر وتحمل المشاق، ولذا فقد لاذت بالصمت العميق، وكان الأب يتأمل ابنه بحب يريد أن يرتوي من آخر صورة له لتـبقىٰ تشـعّ فـي ذاكرته كلما حنّ لرؤية فلذة كبده.

تقدم الوالد.. وضع يده علىٰ كتف ابنه، ثم قبل جبينه قبلة أودعـها كـل معاني الأبوة والحب والأمل، ثم أوصاه بنفسه، وزوّده ببعض الاسـماء فـي النجف لكي لايبقىٰ حائراً في المدينة البعيدة.

وانطلق الطالب نحو مدينة النجف، وفي القافلة عديد من أهالي خونسار كانوا يريدون زيارة المرقد الطاهر لـلإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام).

وانطلقت القافلة تحثّ الخطى وتجتاز البوادي والفلوات.

الفصل الثاني

في رحاب العلماء

النجف الاشرف

الهواء المحموم في هذه المدينة لايشبه ابداً هواء خونسار ونسائمه الطيّبة، والهواء يتبع الارض والتضاريس. هناك الجبال الشاهقة والينابيع المتدفقة والخضرة الزاهية، وهنا الجفاف والصحراء والرمال.

ومع كل هذا فمدينة النجف تمتاز بصفاء عجيب.. فضاء مفعم بالعلم والإيمان. فتربتها تضم جثمان بطل الاسلام الخالد علي بن ابي طالب(عليه السلام)، وفوقها ترفرف روحه الطاهرة.

ويهرع الفتىٰ القادم من جبال خونسار لتقبيل إبن الصحراء.. الصحراء التي تشرّفت بحمل رسالة السماء، وشهدت مجد الاسلام.

ازقة المدينة بمنعطفاتها وامتداداتها ومصباتها عند الحرم العلوي تشبه

ايادٍ متعانفة تحتضن المرقد. انها مدينة القوافل المسافرة.. قوافل عشاق العلم والولاية، مرفأ الذين آمنوا وعلىٰ ربّهم يتوكلون.

ثمانية قرون... ثمانية أعمدة من اعمدة التاريخ تنتصب في هذه الربوع، تشهد علىٰ تعاقب الاجيال؛ طلاّب علوم، وعلماء، وعباقرة خالدون مرّوا من هنا، أو مكثوا فيها، منذ أن القىٰ فيها الطوسي رحله، وحتىٰ اليوم.

وما تزال روح علي(عليه السلام) تضيء الدنيا وتلهم الانسانية الشجاعة والعلم والايمان. مدينة علي مدينة العالم كلّه. لا غربة في رحاب (علي) الذي تتردد مقولته الانسانية الخالدة علىٰ الافواه:

الناس صنوان إما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق.

وهكذا سرعان ما تبدد شعور الغربة في نفس سيد محمد تقي منذ اللحظة الأولىٰ وهو يحط رحله في مهوى الافئدة؛ بل انبثقت في نفسه ينابيع الحب الخالد بين الحفيد وجدّه العظيم.

وسرعان ما يمدّ جذوره في الأرض، فوصايا والده مهّدت له الطريق.. طريق العلم، والبحث والتحقيق؛ وهل هناك ما يطمح اليه طالب العلم غير حجرة صغيرة، يدرس، أو يتناول لقمة عيشه، ثم يأوي الىٰ فراشه استعداداً ليوم جديد.

وينطلق الفتىٰ محلّقاً في دنيا العلم، ينتهل من عذب ينابيعه الصافية دون ارتواء؛ يوصل الفجر بالظهر، والظهر بالمساء. فاذا نشر الظلام ستائره، جلس يراجع ما تعلّمه في رحلته اليومية.

في رحاب العلماء

ويشدّ سيد محمد تقي الرحال الىٰ القمم الشاهقة. لقد طوىٰ مراحل علمية عديدة.. مراحل أهّلته للارتقاء والسموّ.

حضر دروس الفقيه والمحقق الاصولي الكبير آية اللّٰه الآخوند الخراساني مدّة اربعة اعوام، وكان له حضور دائم في دروس الفقيه المبرّز آيةاللّٰه السيّد محمّد كاظم اليزدي.

وبعد رحيل هذين العملاقين، واصل رحلة العلم في الفقه والاصول علىٰ أيدي كل من: آية اللّٰه النائيني، وآية اللّٰه ضياء الدين العراقي، اضافة الىٰ آية اللّٰه الاصفهاني.

ولا يقف عند هذا الحدّ، بل راح يغوص في بحر الفلسفة، فدرسها علىٰ يد الفيلسوف آية اللّٰه الشيخ علي القوچاني.

ويشعر سيد محمد تقي بأن ينابيع العلم تتفجر في اعماقه، فراح يفيض علىٰ غيره[١].

اجتهاده

لم يسع الخونساري في الحصول علىٰ اجازة في اجتهاده بالرغم من بروز تفوقه وذكائه؛ علىٰ أن استاذه آية اللّٰه ضياء الدين العراقي رأى من

---

(١) آثار الحجة ج ١ ص ٢٤٦ ، تاريخ قم ص ٢٥٢ و ٢٥٣ .

الواجب التنبيه الىٰ منزلة الخونساري، فأبرق اليه اجازته في الاجتهاد، وكان الخونساري يومها في ايران.

وقد تضَمّنت الاجازة اشادة بمنزلته واشارة الىٰ شخصيته القيادية وزعامته الدينية.

وكان استاذه قد اجازه في الرواية من قبل.

الفصل الثالث

فوق قمم المجد

ذكريات المجد وملاحم الجهاد هي تاريخ حقبة مشرقة في حياة الخونساري المجاهد. لقد كان في طليعة المجاهدين الذين تصدّوا للاجتياح الاجنبي إثر اندلاع الحرب العالمية الأولىٰ.

العراق أرض المقدّسات

سلام علىٰ الأرض المقدسة في العراق، سلام علىٰ نوح، علىٰ الأرض التي رسا فيها بعد انتهاء الطوفان.

سلام علىٰ (علي)، علىٰ آثار خطاه في هذه الأرض. ما يزال محرابه في مسجد الكوفة مضمخاً بدماه. سلام علىٰ الأرض التي شهدت مصرع الحسين.. دموعه.. ودمه الطاهر.

سلام علىٰ الأرض التي شهدت أسر السجّاد، وقد غُلّ بالجامعة.

سلام علىٰ الأرض التي رأت غربة الكاظم، وسجنه المظلم، وانكسار قلوب سجانيه.

سلام علىٰ الأرض التي شهدت الجواد وقد آتاه اللّٰه الحكم صبيّاً.. الجواد الذي نهض بالامامة، فحيّر الدنيا بعلمه وايمانه.

سلام علىٰ الأرض، التي تشهد قيام حكومة المستضعفين.. الأرض التي تحتضن خطىٰ المنتظر، وتلامس قدمه المباركة.

الشيعة في العراق

كان العراق قبل اشتعال الحرب العالمية الأولىٰ مسرحاً لصراع مرير بين الدولتين العثمانية في تركيا والصفوية في ايران.

وقد تبادلت الدولتان احتلال بغداد مرّات عديدة في حقبة اتسمت بعدم الاستقرار والحروب المدمّرة الىٰ ان تمكن سليمان القانوني من احتلال العراق نهائياً، وضمّه الىٰ املاك الامبراطورية العثمانية.

وتشكل الطائفة الشيعية نسبة الاغلبية في هذا البلد العريق، وتتركز في المناطق الجنوبية.

ومن المعروف ان الدولة العثمانية تتبنىٰ ـ ولأسباب سياسية تتعلق بالقاعدة الفكرية ـ المذهب الحنفي. وكانت سياستها تجاه الشيعة والمذهب الجعفري في غاية التعسف والحرمان ومصادرة كافة الحقوق. فالسياسة العثمانية كانت تهدف الى تتريك البلاد، وترجيح المذهب الحنفي علىٰ

حساب المذاهب الأُخرىٰ، خاصّة المذهب الشيعي.

وكانت الزعامة السياسية بأيدي اتراك لا يجيدون اللغة العربية، ولذا كان الحكام العراقيون يلجأون ـ في الغالب ـ الىٰ وزير شيعي لصياغه البيانات الحكومية باللغة العربية، ويبقىٰ الوزير الشيعي بطبيعة الحال وزيراً بلا وزارة.

ولقد وصلت سياسة التعسّف العثمانية ـ تجاه الشيعة ـ حدّاً أقصوا فيه الشيعة العرب عن أي مركز اداري في الدولة، وأبعدوهم عن الحياة النيابية. فاذا اضطرت الدولة لتعيين نائب عن المدن الشيعية، اختارت عراقياً من أهل السنة ممثلاً لكربلاء أو العمارة أو غيرها من مدن الجنوب.

وفي مقابل هذا الحرمان، كان اليهود والمسيحيون ينعمون بحقهم في اختيار وتعيين مندوب لهم في مجلس «المبعوثان»[١].

وعلىٰ الرغم من صدور الدستور العثماني عام «١٩٠٨ هـ» الذي عدّ ثورة كبرىٰ ودعوة شاملة للحرية والمساواة بين مواطني الدولة، فقد استمر حرمان الشيعة في حق التمثيل عن مدنهم.

يقول كامل الچادرچي: «**كانت الطائفة الشيعية تعدّ في زمن السلطان عبد الحميد، وبالحقيقة في زمن الدولة العثمانية، أقلية تنظر اليها الدولة بعين العداء، فلم تفسح لها مجالات التقدم في اية ناحية من نواحي الحياة العامة. ومن الامثلة البارزة علىٰ ذلك: انها كانت لا يقبل لها تلميذ في المدرسة الحربية، ولا يقبل منها فرد في وظائف الدولة الا ما ندر**

---

(١) البرلمان العثماني.

وعند الضرورة القصوىٰ، وحتىٰ في مدارس الدولة الاعـدادية القـليلة كانت توضع العراقيل في طريق دخول ابناء الطائفة فيها»[١].

ولقد نجم عن هذاالتمييز الطائفي استياء واسع في صفوف الشيعة، وبات السعي للتخلص من النير التركي هاجس هذه الطائفة، التي كـانت تـتحيّن الفرص دوماً للثورة والخلاص[٢].

الحرب الكونية الأولىٰ

فجّر التنافس الاقتصادي والسياسي بين الدول الأوربـية عـلىٰ النـفوذ نيران حرب مريرة، جرّت العالم الىٰ بؤرة الدمار. فقد نشبت المـعارك بـين دول المحور (المانيا ـ النمسا ـ ايطاليا) وبين الحلفاء (بـريطانيا ـ فـرنسا ـ روسيا ـ اليابان)، ودخلت الامبراطورية العثمانية الحـرب الىٰ جـانب دول المحور، بسبب العلاقات الواسعة التي تربطها مع المانيا.

ولقد دفع تقدم الالمان السريع ـ في الجبهة الروسية ـ الحلفاءَ لأن يفتحوا جبهة جديدة في ايران لوقف الزحف الالماني، وتخفيف حدّه الضـغط فـي

---

(١) الشيعة والدولة القومية ـ نقلاً عن أوراق كامل الجادرجي ص ٨٦ .

(٢) وقعت سلسلة من الحروب بين العثمانيين والقبائل العربية الشـيعية؛ مـن بـينها حرب «المنتفك»، وحرب «الفتلة»، وحرب «الغراف»، وحرب «الخـزاعـل». وكـانت حرب (النجف والأتراك) سنة ١٩١٥ آخر الحروب ضد العثمانيين ـ الشـيعة والدولة القومية ص ٥٧ .

الجبهة الروسية. وقد هبّ العثمانيون لوقف التـقدم البـريطاني فـي ايـران، ودارت معارك عنيفة.

فعمد الحلفاء لفتح جبهة أخرىٰ في العراق لتـخفيف الضـغط العـثماني وقطع طرق الامدادات، والسيطرة عـلىٰ مـنابع النـفط؛ وهي مسألة بـالغة الخطورة لادامة الماكنة الحربية.

وهكذا احتلت القوات البريطانية قلعة الفاو، ثم بـدأت تـقدمها بـاتجاه الشمال.

الموقف الشيعي

كانت الظروف غاية في الحساسية، فـقد لاحت فـي الافـق الجـيوش البريطانية كبارقة أمل في الخلاص من الهيمنة التركية؛ فهل ينتهزون الفرصة لتأييد «الحلفاء» ولهم في ذلك ما يبرر موقفهم فقهياً وسـياسياً، سـيما وأن شعار الحملة الانجليزية هو «التحرير» لا الاحتلال.

لقد كان بامكان علماء الشيعة اتخاذ موقف الحياد علىٰ الأقـل، وعـدم التورّط في الصراع الدائر، ولن يلومهم أحد، فهم أولاً ليسوا تابعين لمـركز الافتاء في اسطنبول، والأهم من ذلك هو عـدم اعـتراف الدولة بـالمذهب الجعفري، اضافة الىٰ القاعدة الفكرية التي تسوغ لهم قبول الكـافر اذا كـان عادلاً ورفض المسلم اذا كان جائراً.

ولكن الشيعة في العراق كان لهم موقف مذهل في مـقابل تأيـيد العـالَم

السني العراقي للاحتلال البريطاني.

لقد اصدر المرجع الكبير آية اللّٰه السيّد محمّد كاظم اليزدي فتوىٰ الجهاد ضد الاحتلال، وبعث ـ بالنيابة عنه ـ نجله الاكبر، للاشتراك في العمليات الحربية.

كما اصدر آية اللّٰه الميرزا محمّد تقي الشيرازي فتوىٰ الجهاد، وبعث هو الآخر بنجله الاكبر.

وتوالت فتاوىٰ الجهاد من كبار المجتهدين، وهبّوا جميعاً الىٰ جبهات الحرب، وكان في طليعتهم: آية اللّٰه السيّد مصطفىٰ الكاشاني وبرفقته ابنه السيد ابو القاسم، وآية اللّٰه شيخ الشريعة الاصفهاني، وآية اللّٰه علي داماد، وآية اللّٰه مهدي الحيدري وآية اللّٰه سعيد الحبوبي، وآية اللّٰه الخالصي، والسيّد «محسن الحكيم».

ولم تكتفِ مشيخة الاسلام في بغداد الممثلة الشرعية للمشيخة التركية بعدم اصدار فتوىٰ الجهاد، بل أنها ايّدت جيوش الاحتلال، وشاركت في اجتماعات لذلك.

الىٰ الجهاد

كانت أيام محرّم الحرام.. أيام الحسين بطل الاحرار، وقد الهبت فتاوىٰ الجهاد روح الحماس والمقاومة، فهبّ الجميع لردع العدوان.

والخونساري الشاب تشتعل في اعماقه روح حسينية متاججة، فيدع

دنيا العلم والتعليم ويهبّ الىٰ دنيا الجهاد والمقاومة، يحمل بندقيته وشرائط الرصاص؛ وعلىٰ وجهه ملامح محارب وعزم لا يلين.

وينطلق الخونساري برفقه مجموعة من المجاهدين يـقودها آيـة اللّـه مصطفىٰ الكاشاني.

وانطلقت زوارق المقاتلين تنساب في مياه دجلة والفرات، صوب مدينة البصرة ملتقىٰ النهرين.

جبهات الصراع

كانت اعداد المـجاهدين تـفوق فـي بـعض الجـبهات اعـداد الجـنود النظاميين في الجيش العثماني.

فقد كانت القوّة الاسلامية المتمركزة في الشعيبة حوالي ٧٦٠٠ مقاتل من الاتراك و ١٨٠٠٠ مقاتل من المجاهدين العرب.

وفي منطقة القرنة قـدّر عـدد المـجاهدين بأربـعين الفـاً، وقـد انـتشر المجاهدون علىٰ ثلاث جبهات:

القلب؛ مركزه: القرنة، ويقوده العلماء: مهدي الحيدري، وشيخ الشريعة، وآية اللّه مصطفىٰ الكاشاني، وعلي الداماد، وعبدالرزاق الحلو.

الجناح الأيمن؛ مركزه: الشعيبة.. يقوده العلماء: محمد سـعيد الحـبوبي وباقر حيدر ومحسن الحكيم.

الجناح الايسر؛ مركزه: الحويزة ـ يقوده العلماء: مهدي الخالصي وولده

محمد الخالصي، وجعفر الشيخ راضي، وعبد الكريم الجـزائـري، وعـيسىٰ كمال الدين.

وقد استخدم المجاهدون ـ اضافة الىٰ الحرب التقليدية ـ اسلوب حرب العصابات في شنّ هجمات مفاجئة علىٰ المعسكرات البريطانية للاسـتيلاء علىٰ العتاد، وايقاع اكبر الخسـائر الممكنة، ثم الانكفاء.

ضحكات حول القلعة

كانوا ثلاثة نفر؛ السيد أبوالقاسم الكاشاني والخونساري والسيّد محمّد رضا البختياري، جمعتهم رفقة الجهاد.. جهاد عدوّ قادم من وراء البـحار.. يريد مصادرة الارض الاسلامية، واذلال الانسان.

الحياة تكشف معادن الناس،والحرب تجربة مريرة تضع النفس الانسانية علىٰ المحكّ، تميّز الخبيث من الطيب، والشجاع من الجبان.

انها بعبارة واحدة ترسم ـ بدقة ـ مـلامح الشـخصية. كـانت المـدافـع الانجليزية تصبّ حممها علىٰ القلعة، وتتحول الارض الىٰ جحيم.انفجارات مهيبة.. شظايا وقنابل وحرائق.

في هذا الجوّ الرهيب، كان الخونساري يضحك.. يضحك بسعادة.

ينقل المرحوم البختياري (رفيقه في الجهاد):

«كنا داخل الموضع، وكان السيد في غاية السعادة، يضحك، مما اثار دهشة رفاقه، مشيعاً جوّاً مفعماً بالامن، في تلك اللحظات المصيرية».

في الفرات الأوسط

كان السيّد محمّد تقي في الخطوط الامـامية للـقتال يُـصلي بـرصاصه الغاضب الغزاة المعتدين، وكانت الطـائرات المـغيرة تـصبّ حـممها فـوق المجاهدين، وتزلزل الارض تحت الأقدام، وكانت حلقة الحـصار تـضيق علىٰ المدافعين شيئاً فشيئاً، وظـهر تـفوّق الانـجليز، واهـتزت مـعنويات المقاتلين، ولاحت بوادر الهزيمة في صفوفهم، وكانَ الكاشاني ورفيقه فـي الجهاد (الخونساري) يهيبان باستمرار المقاومة هاتفين:

ان الفرار في الزحف من أعظم الكبائر!

ويشتدّ الحصار وتشتدّ حدّة المقاومة، ويسّاقط الشهداء، وتستمر ملحمة الاستبسال تستلهم قيم الفداء في عاشوراء، والخونساري لا يـفكر الاّ فـي إحدىٰ الحسنيين (النصر أو الشهادة).

ويأتيهم الموت من كل مكان، فيلتفت الخونساري الىٰ رفاقه قائلاً:

ـ «الآن ـ وقد احدق بنا الموت ـ من الأفضل أن نتوضأ، ثم نتّجه الىٰ اللّٰه في صلاة اخيرة».

انتصار أم هزيمة

حوصرت القوات البريطانية بقيادة الجنرال «تونزند» في «الكوت» قرابة خمسة اشهر، ثم استسلمت للقوات العثمانية، بعد أن تحمّلت خسائر فادحة في الارواح، بلغت اربعة آلاف جندي معظمهم من الانكليز، كما بلغ عـدد

الاسرىٰ ١٢٠٠٠ جندي انكليزي وهندي.

وقد أجبرت هذه الهزيمة الساحقة الحلفاء علىٰ تغيير مسار الزحف حيث اتجهت القوات الغازية ناحية جبل حمرين.

استمرت المعارك الطاحنة مدّة ثمانية عشر شهراً.. كانت القوات الغازية تراوح مكانها في مناطق الجنوب.

لقد الهبت فتاوىٰ الجهاد وحضور العلماء في ساحات القتال مشاعر الشعب العراقي، ولهذا عجز الانكليز عن قهره، ولكن فساد الادارة العثمانية، وسياسة التمييز العنصري للأتراك، واستمرار عدوانيتهم ضد الشيعة، وعدم استثمارهم الطاقات الشعبية المذهلة.. أدت ـ في النهاية ـ الىٰ تقدم الحلفاء من جبهات أخرىٰ، واحتلال بغداد، فيما بقي الجنوب في حالة مقاومة عنيفة.

نهاية الجهاد

تزامن سقوط بغداد مع انتصارات عديدة أحرزها الحلفاء، فكان هذا ايذاناً بانتهاء ملحمة الجهاد، فتشتت القوات الشعبية، واقفرت متاريس المقاومة والدفاع، وبدأت قوات الحلفاء التي اصبحت الحاكم القوي تطارد الذين اشتركوا في القتال، فشنّت حملة اعتقالات واسعة.

وبدأ جواسيس بريطانيا نشاطاً محموماً في الكشف عن المقاتلين وإلقاء القبض عليهم.

وهكذا أُلقي القبض علىٰ آية اللّٰه الخونساري، وكان قد اصيب بجرح في

ساقة، فسيق مخفوراً الىٰ سجون الاحتلال.

وقد اخفقت جميع المحاولات المبذولة لاطلاق سراحه، اذ كانت السياسة الانكليزية تبدي تعنتاً إزاء المجاهدين غير العرب.

ميناء البصرة

اعتقل الانكليز الكثير من أحرار العراق، ونقلوهم الىٰ البصرة، ريثما تستعد إحدىٰ بواخرهم لحملهم بعيداً في مستعمراتهم في شرق آسيا.

كانت الباخرة في طريقها الى سنغافورة، وهي واحدة من مستعمراتهم في الهند الصينية، وهكذا وجد الخونساري نفسه مع جمع من الأسرىٰ علىٰ ظهر باخرة غربية. وبلغت شدّة الازدحام حداً سمح الانكليز للأسرىٰ بافتراش ظهر السفينة.

الباخرة تمخر مياه الخليج الزرقاء إلىٰ أن غابت في نقطة من الافق.

البحر هادئ، يضفي علىٰ النفس هدوءاً مفعماً بالسلام، والسفينة تتأرجح برفق، كمهد صبي تهزّه أمّه هوناً ليغفو وينام.

الرجال مشدودة أبصارهم نحو الأفق البعيد، ولا شيء سوىٰ الظلام... فالسفينة تتجه نحو هدف منشود.. هدف لا يعرفه أحد. وتمرّ الأيام والليالي والباخرة تمخر عباب المياه في رحلة العذاب والقهر والقيود.....

وعندما دخلت الباخرة المياه الاستوائية شعر الخونساري أن رحلته جزء من رحلة السجاد فى قافلة كربلاء؛ والعزاء الوحيد هو الصبر والصلاة.

سنغافورة

بعد اربعة شهور من الرحلة، وصلت السفينة الىٰ شواطئ سنغافورة وتطلعت العيون المرهقة ـ التي ملّت منظر المياه، وتحلم بالشاطىء ـ تطلّعت الىٰ اليابسة بشيء من الأمل.

والقت الباخرة مراسيها في الشواطىء الاسيوية الساحرة، حيث الغابات المجهولة التي تموج بالحيوانات المفترسة والأفاعي الخطرة.

سنغافورة جزيرة تغطيها الخضرة.. تقع في المعابر الحساسة من الملاحة الدولية.. وكان قد اشتراها رجل انكليزي بثمن بخمس، ثم اهداها الىٰ التاج البريطاني؛ تحولت بريطانيا بعد بناء ميناء سنغافورة الىٰ مركز حساس من مراكز الملاحة في الشرق الاقصىٰ.

عمّت الفرحة «الاسرىٰ» بالرغم مما ينتظرهم في هذه الارض. لقد ملّوا «دوار البحر» والنوم القلق والارق الطويل.

وأُنزل الاسرىٰ من السفينة، وكان عددهم اربعمائة، وكان الهدف من نقلهم الىٰ هذه الاصقاع البعيدة هو لئلا يفكر أحدهم بالفرار.

وهكذا نُقل «المجاهدون» الىٰ معسكر في الصحراء، محاط بالاسلاك الشائكة، ولم تكن في تلك المنطقة سوىٰ ذلك المعسكر.. وسكان الجزيرة من (الكوكا). وقد اشيع في وقتها أنهم من أكلة لحوم البشر، وكان حراس المعسكر يقومون باحصاء الاسرىٰ يومياً، فاذا فقد احدهم عدّ طعاماً للكوكا.

التبادل الثقافي

لم تعد الاوضاع قابلة للتحمل، فالسجن والغربة اقسىٰ ـ كما يقال ـ من وجه الجلّادين. واذن فينبغي علىٰ المرء أن يحاول فتح نافذة علىٰ البيئة التي تحيطه، وكسر حالة الرتابة التي تبعث الفشل والكسل في النفس الانسانية.

وفي تلك الفترة تعرّف آية اللّٰه الخونساري بـ(راجا) هندي، وبدأت بينهما سلسلة من الاحاديث، وكان الهندي يجيد اللغة الفارسية، فعرض علىٰ الخونساري أن يدرس عنده المنطق والحكمة في مقابل أن يعلّمه «الانكليزية».

موقف

وذات يوم دعي آية اللّٰه الخونساري الىٰ مكتب مسؤول المعسكر. لقد ادركوا قيمته العلمية، وها هو الآن يجيد الانكليزية تماماً، واذن يمكن استغلاله والاستفادة منه، فعرض قائد المعسكر عليه أن يترجم كتاباً الىٰ اللغة الفارسية.

عكف الخونساري على دراسة الكتاب واطلع علىٰ محتوياته واهدافه، وقد ظهر أنه من الكتب الضالّة، وأن ترجمته سوف تساعد علىٰ تكريس الاستعمار في القارّة الهندية.

قد يقدم الانسان في حالة من حالات الضعف البشري، علىٰ ارتكاب إثم ما، وهذه هي مسيرة الانسان؛ فطريقه محفوف بالاخطار، طافح

بالمعاناة، ومن خلال التحمل والصبر تسمو النفس الانسانية وتزداد صفاء.

لم تخامر نفس الخونساري وسوسة شيطانية في التعاون مع اعداء الدين والانسانية وحرّية الشعوب، فرفض ـ بإصرار ـ ترجمة الكتاب، استجابة للمبادئ التي آمن به، وضحىٰ في سبيلها، ونقل رفضه صراحة الىٰ قائد المعسكر الذي استشاط غضباً، وهدّده باتخاذ اجراءات قاسية.

ولم يكن الخونساري من الرجال الذين يكترثون لمثل هذه التهديدات، ففي صدره قبس من روح الحسين وملحمة عاشوراء.

ضيّقوا علىٰ حرّيته اكثر فاكثر.. استخدموا اسلوب التجويع.. وكان جسده يذبل، فيما ظلّت روحه تسمو وتزدهر، وظل ايمانه عميقاً عمق جذور الاشجار المعمّرة.

القلب الهادئ:

لقد وفّر السجن، والاغتراب، ورحلة العذاب فرصة للخونساري، لكي يغوص في اعماق الفكر والتأمل.

ان البيئة تؤثر في سلوك الانسان كنوع من التحدي يستجيب له المرء سلباً أو ايجاباً. فالحياة داخل السجن والاسلاك الشائكة ومنظر الصحراء وظروف العيش المريرة حوّلت السجانين إلىٰ ذئاب مفترسة. ومن المفترض أن يتحول السجين الىٰ ذئب ـ كردّ فعل عنيف ـ ازاء ما يعانيه من معاملة تحاول سحقه، أو يتحوّل إلىٰ حمل ضعيف خائف ذليل.

ومن المدهش أن يحافظ الانسان علىٰ توازنه دون أن تهتز شخصيته أو تنهار، ليعاد بناؤها من جديد وعلىٰ دعائم مختلفة.

ولقد ادهش الخونساري سجانيه بسلوكه وثبات شخصيته التي تستمد مواقفها من عمق ايمانه.

لقد سوّلت لأحد سجانيه نفسه أن يتسلّىٰ بتعذيبه، فاطلق عليه حيواناً مفترساً كان قد سقط في الفخ ـ علىٰ روايته كما نقلها احد رفاقه:

ذات يوم خرج الجميع فبقيت وحدي، واذا بالسجان يطلق علي حيوانا مفترساً كان قد سقط في الفخ، ووثب الحيوان نحوي، ولمّا لم أبدِ أي ردّ فعل، انكفأ راجعاً نحو الباب، ثم هجم علي مرّة أُخرى ولم يؤذني ثم عاد الىٰ مكانه مرّة أُخرىٰ.

الحرّية

عندما اطلق سراح الراجا الهندي من الأسر لم ينسَ صديقه العالم. لقد سعىٰ من أجل حرّيته، بالرغم من كل الصعوبات، فهو يعرف مدىٰ حقد الانكليز عليه، وفي الوقت نفسه يعرف كيف الطريق الىٰ ذلك...

المال سيكفل له فتح الابواب المغلقة.

وهكذا حصل، اذ قدم الراجا مبلغاً كافياً من الذهب الىٰ مسؤول المعسكر الذي وقّع ـ علىٰ الفور ـ ورقة صغيرة تتضمن اطلاق سراحه.

ويجد آية اللّه الخونساري نفسه حرّاً بعد أربعة اعوام من الاسر والعذاب

والقهر.

واعتنق الخونساري صديقه الراجا، وضمّه الىٰ صدره تعبيراً عن شكـره العميق. وعندما حان وقت الوداع بكا الصديقان بشدّة.

واعتلىٰ الخونساري متن الباخرة التي راحت تمخر مـياه المـحيط فـي رحلة العودة الىٰ الوطن.

الفصل الرابع

المرجعية

العودة

وعاد الخونساري الىٰ ارض الوطن.. الىٰ مسقط رأسه في «خونسار».

وعندما يتنفس هواءها، ويشمّ الأرض التي ولد فيها، يسجد للّٰه شاكراً، اذ نجّاه من السجن، وانقذه من غربة الروح والوطن. وتتجمع الدموع في عينيه.. دموع الفرح.. كمطر الربيع.

ويمكث في خونسار عدّة شهور، كانت كافية لشفاء روحه تماماً، وها هو يتنفس ـ ملء رئتيه ـ هواء نقياً مفعماً بالحرّية.

وتطرق اذنيه اخبار تفيد بتأسيس حوزة للدراسات الدينية في مدينة أراك.

فتتوق نفسه الىٰ الرحيل والهجرة؛ فالوطن الحقيقي لديه هو ارض المعرفة والعلم؛ والخونساري الظامئ الذي حرم العلم مدّة أربعة اعوام، ينشد ينابيعه الصافية.

حوزة اراك

لقد وضع الشيخ عبد الكريم الحائري قدميه في «سلطان آباد» بمدينة أراك، تأسست نواة حوزة علمية، بدت كشمعة متوهجة تهفو اليها الفراشات. وكان ذلك سنة ١٢٩٣ هـ. ش (١٨٧٥م)، ثم بدأت بالتوسّع والنمو والازدهار. وسرعان ما حجّ اليها العلماء وطلاّب العلم من انحاء ايران؛ ومن بينهم آية اللّٰه الخونساري، حيث انتظم في دروس (الحائري) العامّة، وفي دروس خاصة فيما بعد.

ولم تمض فترة حتى لفتت شخصية الخونساري استاذه الكبير، فاصبح أحد ابرز المقرّبين اليه ومستشاره في «هيئة الافتاء».

تاسيس الحوزة العلمية في قم

تألّقت الحوزة العلمية في أراك، واضحت تنافس الحوزات العريقة، وقد كان الايرانيون ـ قبل ذلك ـ يقطعون مئات الاميال في رحلة شاقة للدراسة في الحوزات العراقية.

مرّت ثمانية اعوام تمكنت فيها حوزة أراك من اطفاء غليل عطاشى العلم والمعرفة، وجنّبتهم مشاقّ السفر والهجرة والاغتراب.

وفي سنة ١٣٠١ هـ. ش، كان الحائري في طريقه الىٰ قم لزيارة مرقد العلوية الطاهرة السيدة فاطمة بنت الامام بن موسىٰ بن جعفر (عليها السلام) وكانت الزيارة بناء علىٰ نذر نذره، وبرفقته آية اللّٰه الخونساري وجمع من مقربيه،

واستغرق السفر يومين[١]، وقد هبّ أهالي المدينة وفي طليعتهم العلماء لاستقبال آية اللّٰه الحائري. وينزل الزوار في بيت آية اللّٰه الحاج الشيخ مهدي ضيوفاً عدّة ايام.

وكان علماء قم يبحثون منذ مدّة فكرة تأسيس حوزة علمية في قم كمركز هام من مراكز التشيع، وكانت زيارة الحائري فرصة ذهبية لبحث هذه الفكرة، وكان للخونساري، فيما يبدو، دور كبير في حثّ الحائري علىٰ ذلك.

يقول السيد دانش الاشتياني (تلميذ الخونساري): «لا يمكنني الادّعاء بأن آية اللّٰه الخونساري كان شريكا لآية اللّٰه الحائري في تأسيسه الحوزة العلمية في القم. وقد يفسر هذا على انه مبالغة كبيرة. ولكن وحسب ما أعلم أن الخونساري كان في طليعة المحرّكين والمشجّعين لآية اللّٰه الحائري في الهجرة الىٰ قم، ثم تشكيل الحوزة العلمية فيها».

ولم يكن من السهل علىٰ آية اللّٰه الحائري أن يترك أراك وحوزتها الفتية ولكن ـ واستجابة لإلحاح الكثيرين ـ فتح القرآن الكريم متفألاً، فلاحت له الآية الكريمة من سورة يوسف «وأتوني باهلكم اجمعين»[٢].

وهكذا اعلن الحائري انتقاله الىٰ قم. وشيئاً فشيئاً تشكّلت حوزة قم التي اضحت اليوم في طليعة المراكز العلمية للدراسات الدينية في العالم الاسلامي.

---

(١) يقطع المسافر اليوم المسافة في ساعتين بالسيارة.

(٢) الآية ٩٣ .

جد، المرجعية

في عام ١٣١٥ هـ. ش، اجتاحت موجة من الحزن العميق مدينة قم إثـر رحيل آية اللّٰه الشيخ عبد الكريم الحائري، وتعطّلت الحوزة العلمية حداداً علىٰ وفاة مؤسسها الكبير.

وقد سعىٰ (رضا خان) في مـنع إقـامة مـجالس الفاتحة للـحؤول دون استمرار الوجود الحوزوي في قم.

وفي هذه الظروف الحساسة، كان علىٰ العلماء المبادرة من اجل الحفاظ علىٰ كيان الحوزة، وكانت الجماهير تتطلع الىٰ ثلاثة من ابرز تلامذة الحائري هم كل من: آية اللّٰه الصدر، وآية اللّٰه حجت، وآية اللّٰه الخونساري الذي كان يفضّل البقاء بعيداً عن الزعامة الدينية. ولم تستمر الأوضاع معلّقة، فقد قام الشيخ محمّد الصدوقي، وبالتعاون مع الشيخ مجتبىٰ العراقي وآخـرين، الىٰ وضع حدٍ لهذا الانزواء، فعرضوا علىٰ الخونساري استئناف دروس الحائري الراحل. وهكذا تجلّت شخصية الخونساري للجماهير، وسرعان ما اصـبح مرجعاً أعلىٰ للأمة، كما جاءت فتوىٰ (ابو الحسن الاصفهاني) ردّاً علىٰ سؤال تقدّم به الحاج محمد «چاي فروش» حول جواز الرجوع الىٰ الخـونساري في المسائل الاحتياطية، ساعدت علىٰ تكريس مرجعية الخونساري فـي ايران، فقد انتشرت الفتوىٰ المحرّرة بين الجـماهير وأضـحت دافـعاً كـبيراً لتعزيز مرجعيته في صفوف الامة الايرانية.

علىٰ كرسي التدريس

امتازت دروس الخونساري بالسعة والشمول ودقـة البـحث وظـرافـة التحليل؛ وكان الخونساري يجيب علىٰ الاشكالات بـاحترام كـامل رغـم هشاشة بعضها وافتقاره الىٰ الموضوعية والدقة، ولهذا كان يسـرد الامـثلة العديدة لتقريب الفكرة الىٰ الذهن؛ وبهذا كان يحفظ لشخصية الناقد كرامتها في نفوس الآخرين.

وكانت اساليبه ومناهجه في تدريس الفقه والاصول غاية في البسـاطة والوضوح بالرغم من تعقيداتها الكثيرة، فكان درسه سباقاً للأفكار وتفتّحاً للأذهان تدفع تلامذته الىٰ التجاوب والتـفاعل مـع الدرس حـتىٰ النـهاية، وكانت دروسه مستمرة حتىٰ في أيام العطل، بالرغم من ان فترة الأسر قـد سلبته حيويته الأولىٰ، الّا ان دروسه كانت مستثناة من ذلك، فقد كان يمارس التدريس صبحاً وعصراً بحيوية كاملة ونشاط عجيب.

في نظر الآخرين

وصف العلماء منهجه في التدريس:

«عند ما يرتقي المنبر يتذكر المرء استاذه السيد ضياء الدين العراقي أو استاذه الآخر الآخوند الخراساني. فهو يصبّ آراءه في قوالب علمية دقيقة يصعب فهمها الّا علىٰ الذين فاضوا في مسامع العلم، وارتـاضوا عليه، فتوفرت لهم قدرة علىٰ الاستنباط».

ويقول بعضهم:

«ان دروسه دقيقة وعميقة لا يدركها الّا النخبة من المتبحّرين».

وعلّق أحد العلماء قائلاً:

«يمتاز آية الله السيّد محمّد تقي الخونساري بالدقّة، فهو عندما يطرح مسألة فقهية ما، فإنّه يغوص في جذورها فيتجلّىٰ فكره الثاقب في كيفية استنباطها».

تلامذته

تصدّىٰ الخونساري للتدريس مذ كان في النجف الأشرف، ورافقه الكثير من طلاّب العلم في تلك الرحلة الطويلة. فقد ورد في كتاب «العلماء المعاصرون»، نقلاً عن تلميذه آية الله الأراكي: **ان اكثر الفضلاء من طلّاب الحوزة، سواء الذين انتشروا في المدن فتصدّوا للزعامة الدينية أو الذين مازالوا يقطنون قم، هم من تلامذة الخونساري في الفقه والأصول والمنطق، والحكمة. لقد كان فراتاً يتدفق فتتذوق عذوبة بيانه القرائح القويمة».**

ويمكن القول أن جميع تلامذة الحائري انتظموا في دروس الخونساري، و(حجت) بعد رحيل مؤسس الحوزة في قم؛ وفيما يلي قائمة باسماء تلامذته.. غاضّين النظر عن تلامذة آخرين كانوا في الواقع تلامذة مشتركين له ولـ (حجت):

١ ـ الشيخ محمد علي العراقي ـ الأراكي.
٢ ـ الشيخ عبد الجواد الاصفهاني.
٣ ـ الشيخ ميرزا راضي التبريزي.
وهؤلاء جميعاً نالوا ـ علىٰ يديه ـ درجة الاجتهاد.
٤ ـ الميرزا أبو القاسم دانش الاشتياني.
٥ ـ الشيخ أبو المكارم الرشتي.
٦ ـ السيّد احمد الخسروشاهي.
٧ ـ السيد احمد الخرم آبادي.
٨ ـ السيد جلال المحلاتي.
٩ ـ السيد حسين الرسولي.
١٠ ـ السيد شفيع الواحدي.
١١ ـ الشيخ عبد الرحمن الغرنقي.
١٢ ـ الميرزا عبد الرحيم المدرس.
١٣ ـ الشيخ عطاء اللّٰه الاشرفي الاصفهاني، وهو خامس شهداء المحراب في الثورة الاسلامية[١].

---

(١) خمسة من كبار المجتهدين في ايران تساقطوا شهداء اثر سلسلة من الاغتيالات التي نفذتها عصابة المنافقين في ايران. وهم كل من: آية اللّٰه الشهيد الطباطبائي (تبريز)، آية اللّٰه الشهيد المدني (تبريز)، آية اللّٰه الشهيد دستغيب (شيراز)، آية اللّٰه الشهيد الصدوقي (يزد)، والشهيد آية اللّٰه الأشرفي الاصفهاني (كرمنشاه).

١٤ ـ السيّد محمّد باقر الطباطبائي السلطاني.
١٥ ـ الشيخ غلام رضا الفقيهي.
١٦ ـ الشيخ محرومي الهريسني.
١٧ ـ الشيخ محمّد الصدوقي (شهيد المحراب).
١٨ ـ السيّد مصطفى الخونساري.
١٩ ـ الشيخ مهدي الصادقي.
٢٠ ـ السيّد هادي الروحاني.
٢١ ـ الشيخ مجتبىٰ العراقي.

آثاره العلمية

تنقسم مؤلفاته الىٰ قسمين؛ الأول يتضمن رسائل حول بعض المسائل الفقهية أو حواشي علىٰ بعض الكتب:

١ ـ جاشية علىٰ رسالة «ذخيرة العباد ليوم المعاد» للميرزا محمّد تقي الشيرازي، باللغة الفارسية ومرتبة علىٰ شكل سؤال وجواب.

٢ ـ حاشية علىٰ رسالة «منتخب الاحكام».

٣ ـ حاشية علىٰ تقويم الصلاة.

٤ ـ حاشية علىٰ مناسك الحج للشيخ مرتضىٰ الانصاري، باللغة الفارسية.

٥ ـ مختصر الاحكام.

٦ ـ حاشية علىٰ العروة الوثقىٰ لآية اللّٰه السيّد كاظم اليزدي.

٧ ـ حاشية علىٰ «وسيلة النجاة» لآية اللّٰه ابو الحسن الاصفهاني. وهي مطبوعة جميعاً باستثناء الاخيرة.

ويضم القسم الثاني من آثاره تقريرات دروسه التي جمعها تلاميذه، وهي عبارة عن:

١ ـ دروس في الطهارة رتّبها ابرز تلامذته، وهو آية اللّٰه الشيخ محمّد علي العراقي (الأراكي).

٢ ـ دروس الصلاة وهي استمرار لدروس استاذه الحائري بطريقه «قوله وأقول»، وقد صنّفها تلميذه المحقق مجتبىٰ العراقي.

مع البروجردي

بعد رحيل آية اللّٰه الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم، اتجهت الابصار الىٰ ابرز تلامذته الخونساري، حجت، والصدر؛ ومن اجل تفويت الفرصة علىٰ اجهزة الدولة التي كانت تسعىٰ لتقويض كيان الحوزة في قم، فقد اتّفق الثلاثة علىٰ دعوة شيخ الفقهاء آية اللّٰه البروجردي، الذي عرف عنه عزوفه عن الشهرة والزعامة، وبعد سعي وإلحاح قدم البروجردي الىٰ مدينة قم، وذلك في سنة ١٣٢٣ هـ. ش ١٩٤٤م.

فانسحب المراجع الثلاثة عن مواقعهم في خطوة تعبّر عن زهدهم العميق بكل اشكال الشهرة، فتنحّىٰ الصدر عن إمامة المصلّين في المسجد الجامع، فيما اعلن الخونساري وحجت تأييدهما المطلق لزعامة البروجردي. وقد

ازدهرت الحوزة العلمية بقم إثر نشاطات البـروجردي الثـقافية الواسـعة، وحكمته في إدارة شؤون الأمة ،الامر الذي اجبر العاصمة علىٰ اتخاذ موقف الاحترام إزاء قم كمركز ديني يحظىٰ بولاء الأمّة.

الفصل الخامس

الصلاة

مرآة الشهود

حديث الصلاة في حياة الخونساري حديث عجيب، انه يعبد اللّه كأنـه يراه، تنقشع الحجب من امامه وهو يقف متّجهاً نحو أول بيت وُضع للـناس، فتنطلق روحه نحو السماوات تخترق الحجب، وتحدث لحظة الاتـصال.. اتصال الروح ببارئها.

يتدفق ينبوع الصلاة نهراً يغتسل الخونساري فيه كل يوم خمس مرّات، فتتجلّىٰ روحه بيضاء بيضاء.

سألوه ذات يوم عن تلك الحالة التي تعتريه في الصلاة، فأجاب:

«عندما أقف للصلاة، فكأني اقابل اللّه وجهاً لوجه، وأتحدث اليه»[١].

---

(١) مجلة (حوزه) العدد١٢ ص ٢٨

منزلة الصلاة

يولي الاسلام اهمية فائقة للصلاة، فهي معراج المؤمن وعمود الدين إن قُبلت قُبل ماسواها، وفيها تتجلّى عبادة الانسان للّٰه وانقياده اليه انقياد العبد الىٰ سيده، والمرء الىٰ خالقه، والروح الىٰ بارئها. إنـها مـدرسة يـتعلم فـيها الانسان كيف يعيش حالة الشهود، فيعبد اللّٰه كأنه يراه.

واذن فالصلاة ـ بمعناها الحقيقي ـ حالة من الحضور والشهود. والصلاة التي لا حضور فيها للقلب، لاتقل عن الصلاة التي تؤدىٰ دون وضوء.

واذاكان الفقهاء يبطلون الصلاة بلا وضوء، فإن العرفاء يبطلونها دون حضور.

الحضور هو جوهر الصلاة ومعناها، هو النبع الذي يـغسل ادران القـلب والروح، فتسمو في عالم نوراني رفيع.

الصلاة هي لحظة اللقاء مع اللّٰه.. مع المحبوب.. لقاء ينبغي علىٰ المرء أن يعيشه بكل جوارحه، بل بكل وجوده.

الليلة الاولىٰ

كما ذكرنا آنفا، فقد كان لجمع من فضلاء الحوزة العلمية دور في طرح الخونساري كمرجع، وكـانت الخـطوة الأولىٰ اقـتراحـا بـاستئناف دروس المرحوم الحائري، واعقبها إمامة المصلّين في المدرسة الفيضية.

لنستمع الى الشيخ مجتبىٰ العراقي وهو يروي ذكرياته عن أول ليلة للصلاة: بعد ذلك (استئناف دروس الحائري) فكّرنا في مكان مناسب للصلاة

بامامته، وكان يصلّي حينها في محلّة «تكيه خـروس» فـي مسـجد صغير، وكان المرحوم آية اللّٰه السيد احمد الخونساري يـصلّي فـي مكانين؛ الأول في المدرسة الفيضية، والثاني في «البـازار». فـاقترح بعض الاصدقاء أن اذهب الىٰ السيد احمد وأحثّه بشأن إخلاء احـد المكانين للسيد محمد تقي، وقد وافق علىٰ ذلك. فـانتخبت مـدرسة الفيضية، وطلبت منه أن يدشن ذلك بحضوره، والاقتداء به في الصلاة، فوافق ايضاً. وكانت ليلة مباركة مفعمة بالايمان والاخلاص للّٰه، وكان الخونساري يقرأ بصوت يفيض خشوعاً حتىٰ اذا وصل الىٰ «إياك نعبد وإياك نستعين» يشعر المرء بأنه يخاطب اللّٰه حقاً؛ وهو أمر لم احسه أنا فقط. فقد كان الكثير يشعر بذلك، ولقد سمعت (آية اللّٰه الاراكي) يشير الىٰ هذه النكتة».[1]

حتىٰ اولئك «المقدسين» من المتشددين في مسألة العدالة، لم يكـونوا يترددون أبداً في الصلاة خلفه والاقتداء به.[2]

«وقد يصادف احياناً أن يتأخر السيد في الحضور فينوب عنه فـي الصلاة الحاج السيد روح اللّٰه الخميني[3] الذي يعدّ من اساتذة الحوزة».

---

(١) مجلة (حوزه) العدد ٣٦

(٢) علماء معاصرون ص ٣١٢

(٣) الامام الراحل (رض).

صلاة الجمعة

كان آية اللّٰه الخونساري قد استأنف بحوث استاذه التحقيقية في «الصلاة»، ولذا، عندما وصل الحديث الىٰ صلاة الجمعة، وبناء علىٰ بحوث سابقة في هذا المضمار، فقد نجم عن ذلك قناعة أن إقامتها تعدّ من باب «الاحتياط الواجب»، ومن غير المستبعد أن تأتي فتواه متأثرة بحسّ سياسي يشكل جانباً هاماً في شخصيته.

فلصلاة الجمعة دور بالغ الخطورة في بناء الكيان السياسي للاسلام.

وفي عام ١٣٢٠ هـ. ش (١٩٢١ م) ـ وبعد اعوام طويلة من ترك هذه الشعيرة ـ اقيمت صلاة الجمعة لأول مرّة في مدرسة الفيضية، في حضور واسع من جماهير الشعب، وكان لقدوم ائمة الجماعة من مختلف المدن الايرانية الأثر البالغ في إعادة الاعتبار لواحدة من ابرز شعائر الاسلام.

وكان الحضور الواسع، والاستقبال الكبير لهذه المبادرة قد ولّد تفكيراً في انتخاب مكان آخر يمكنه استيعاب الجموع الغفيرة للمؤمنين. فانتخب مسجد الامام الحسن العسكري(عليه السلام)[1] لذلك. ولم تكن صلاة الجمعة لتقتصر علىٰ سكان مدينة قم المقدسة، بل انها استهوت الكثير من الناس فراحوا ينحدرون اليها من مختلف المدن القريبة والبعيدة؛ وهو أمر ليس من السهولة بمكان، اذا اخذنا بنظر الاعتبار مستوىٰ وسائل النقل آنذاك.

ولقد اكتشف الناس في صلاة الجمعة احساساً مدهشاً بالروحانية، حتى

---

(١) من مساجد قم العريقة، ويعود تاريخ بنائه الىٰ أكثر من ألف عام ـ المترجم.

أن فرحتها تكاد تنافس فرحة الناس أيام الاعياد.

وقد حفزت هذه المبادرة الرائعة الكثير من مدن ايران لاقامة صلاة الجمعة فيها، فعادت اليها الحياة مرّة اخرىٰ.

خطبة الصلاة

أولىٰ الخونساري اهمّية فائقة للصلاة، كركن من أركان الاسلام، وعمود من اعمدة الدين.. وأن احياءها هو احياء للدين في قلوب الناس؛ ومن هنا شكل اجتماعاً يضمّ الخطباء وتحدّث اليهم بهذا الشأن قائلا:

«لقد انعم اللّه عليكم نعمة كبرى، وهي طلاقة اللسان وفصاحة الكلام، وأن منابركم ـ هذه ـ يمكنها التأثير علىٰ الناس، فاجعلوا «للصلاة» سهماً، وخصصوا لها خطباً تعظّم شأنها وتبين اهميتها، وللأسف أن الصلاة اصبحت في نظر الناس لا قيمة لها، ويُنظر اليها باستخفاف».

ومع بالغ الاسف لم يجد اقتراح الخونساري آذانا صاغية تدرك ما ترمي اليه هذا الرجل العظيم.

الفصل السادس

صلاة المطر

من الحوادث التي تركت آثارها آنذاك وما يزال يتحدث بها بعض ممن عاصروا تلك الفترة هي صلاة الاستسقاء، فقد عدّت واحدة من كرامات الخونساري.

ايران تحت سلطة الاحتلال

في عام ١٣٢٠ هـ.ش (١٩٢١ م) شهدت ايران اجتياح الجيوش الاجنبية لاراضيها في الشمال والجنوب، وتزامن ذلك مع ضعف الحكومة المركزية، وسعي الدول الىٰ نهب ثروات البلاد، وقد عمّت البلاد موجة رهيبة من القحط، وضرب الجفاف مناطق واسعة من ايران، فعمّ الغلاء وارتفعت الاسعار بشكل جنوني، وكان الشعب يعيش حالة من الفقر المدقع. وممّا زاد الأمر سوءً هو جنوح التجار الىٰ احتكار الموادّ الضرورية وما يحتاجه

الناس.

وقد حاصر الآلاف من جنود الحلفاء مدينة قم مـن امـريكيين وروس وانكليز وضربوا خيامهم حولها.

كما تمركزت قوّة في محلّة «خاكفرج»، وأضحت مقراً للقيادة والسيطرة علىٰ المدينة.

الجفاف

تفتقر قم الىٰ نهر دائم يغطي حاجتها من مياه الري، ولذا فإن الزراعة فيها تعتمد نظام «الديم». فاذا جاء موسم الامطار في الربيع ازدهرت الخضرة في الحقول.

وفي عام ١٣٢٣ هـ. ش (١٩٢٤م) ضرب الجفاف اطنابه، ومرّ الربيع دون قطرة مطر، وبدت الارض كالحة محترقة.

ولاحت في الأفق أزمة ستعصف عما قريب، فظلال الاحتلال القـائمة، والقحط، والجفاف، وضعف الحكومة، بعث اليأس في قلوب الناس.

كان ربيعاً خالياً من بهجة الربيع. الفلاحون يتطلعون بحزن نحو السماء يترقبون غيمة تمرّ، أو سحابة تائهة.

الأرض ماتزال تضم البذور في طياتها وتصغي إلىٰ عـذابـها وعـطشها، وتمرّ غيمة صغيرة أو سحابة مسافرة تتوقف في سماء قليلاً، ثـم تسـتأنف رحلتها دون مطر.

نافذة الخلاص

عندما تشعر القلوب باليأس من اسباب الارض تتجه الىٰ السماء.. الىٰ مبدأ الوجود ومصدر البركة والخير، وقد عرف عن أهل قم تمسكهم بأهل البيت (عليهم السلام) وعمق ايمانهم بالله سبحانه.

وقد يغفل المرء مرّة ثم يستيقظ من غفلته، وهكذا كان. وثقافة التوحيد المتغلغلة في اعماق الناس وايمانهم بأن كل شيء يسبح للّٰه ويمضي بمشيئته، وأن اللّٰه قادر على ما يريد.. لا ملجأ سواه ولا ملاذ غيره.

والدعاء هو اصدق صور العبادة لحظة اتصال مباشرة مع خالق الارض والسماء والانسان.

وهكذا اجتمعت القلوب.. هتفت بصمت: دعونا نصلّي للّٰه لينزل المطر فترتوي الارض... ولكن من هذا الانسان الذي سيترجم هذه الحالة وهذا التوجه الخالص للّٰه... من هذا العبد الذي عناه اللّٰه بخطابه واذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعان.

يقول آية اللّٰه الأراكي في ذكرياته عن تلك الفترة:

ظلت الغيوم تتجمع في السماء مدّة وتشتعل البروق وتدوّي الرعود ولكن دون قطرة مطر، وكان الناس يترقبون هطول الامطار بفارغ الصبر.. وتكرر الأمر عدّة مرّات حتىٰ شعر الناس باليأس وتوجه الناس الىٰ ثلاثة اشخاص يعرفونهم؛ هم السيد الخونساري، السيد الصدر، والسيد حجت. وكان الصدر وحجت يقولان للناس:

أدوا ما عليكم من الحقوق حتىٰ يفتح اللّٰه عليكم بركات الارض والسماء.. لأنكم ان تمنعوا حقوق اللّٰه يمنعكم بركاته ورزقه.

فتوجه الناس الىٰ الخونساري ـ وكان الخونساري يؤجّلهم في كل مرّة ـ وحدث أن الصق الناس ـ دون علمه ـ اعلانات علىٰ الجدران، تفيد بأن الخونساري سيقيم صلاة الاستسقاء وملأوا بها المدينة. وعندما علم السيد، قال: أنا لم أعِد أحداً، ثم إن صلاة الاستسقاء لها شروطها.

ووجد الخونساري نفسه مضطراً لإقامتها، كأن الأقدار قد دفعته لاحياء صلاة عفا عليها الزمن. وهكذا قُدّر للرجل الذي احيا صلاة الجمعة أن يحيي صلاة أخرىٰ هي صلاة الاستسقاء.

التوكل علىٰ اللّٰه

كثيرون هم الذين عدّوا إقدام السيد الخونساري علىٰ إقامة صلاة الاستسقاء شكلاً من اشكال المغامرة بسمعته؛ وقد تساءل أحدهم: إذا مرّت الصلاة دون أثر.. فلا غيث ولا مطر.. ألا يزلزل هذا من موقعكم في قلوب الناس؟! وقد ردّ الخونساري ـ حينها ـ قائلاً: اني أؤدي وظيفتي كمسلم، ولا اخشىٰ في ذلك القيل والقال، وكان آية اللّٰه الاراكي واحداً من الذين حثّوا السيد الخونساري علىٰ عدم إقامتها، لكنه لم يلتفت الىٰ أحد؛ ولم يكن موقفه هذا غروراً أو تزكية للنفس واعتداداً بها، بل كان يعبّر عن ايمان هذا

الرجل واستقامته.

مؤامرة

واطلّ اليوم الموعود. الاجواء مشحونه برائحة مؤامرة دنيئة.. فلقد اشاع «البهائيون» بين الناس ان الانكليز ـ وبالتحالف مع القوىٰ الاستعمارية الأخرىٰ ـ يعملون جاهدين لتوسيع رقعة الاحتلال في البلاد. وقد كان البهائيون ينتهزون الفرص للايقاع بالعلماء وجرّهم الىٰ اعمال متشنجة وغير مدروسة، ومن ثم الفتك بهم.

ولكي يُحكموا خيوط المؤامرة جيداً، فقد استغلّوا علاقتهم الوثيقة بجيوش الاحتلال وسرّبوا معلومات كاذبة حول انتفاضة شعبية وشيكة الوقوع، وستكون ساعة الصفر يوم الجمعة القادمة، فاتخذت قيادة قم اجراءات امنية، واعلنت حالة الانذار القصوىٰ تحسّبا للطوارئ، وكان الجوّ ينذر بوقوع كارثة كبرى، سيما وإن ميعاد الصلاة كان في فلاة «خاكفرج» التي اتخذت من قبل قيادة الحلفاء مقرّاً للتحكم بالمدينة.

الىٰ الصلاة

جموع غفيرة من الناس تتدفق نحو «خاكفرج» حيث تقام صلاة العيدين يحملون بُسط الصلاة يحثون الخطىٰ حفاةً وعلىٰ وجوههم تبدو سيماء الخشوع للّٰه الواحد القهار.

خرجت المدينة عن بكرة ابيها، وتوجه مايقارب العشرين الفاً من سكانها، وكانوا يشكلون آنذاك أكثر من ثلثي أهالي قم.

وكان العلماء في مقدمة الصفوف يمشون حفاة ونزعوا عمائمهم، وفُرّق بين الاطفال الرضع والأمهات، وكان منظر الناس وهم يعبرون الجسر الوحيد المحاذي لمسجد الامام الحسن العسكري مهيباً، يبعث علىٰ الاجلال والخشوع.

وعلت اصوات التكبير للّٰه خالق السموات والارض، فكأن القيامة قد قامت ودعي الناس للحشر، وكان الاطفال يصرخون وينادون علىٰ امهاتهم وقلوب الامهات مكسورة، العيون حزينة والدموع تسيل. إن القلب مهما بلغ من القساوة ليخشع وهو يغتسل بتلك الدموع التي انهمرت للّٰه.

وتصل الجموع قرب الاسلاك الشائكة، وتصدر الأوامر الىٰ الجنود أن يأخذوا مواضعهم، وينتظروا أمر إطلاق النار، وتوجهت فوهات البنادق والمدافع نحو الجموع.

وتمرّ الجموع أمام الاسلاك، وهي تتمتم بذكر اللّٰه، وقد دفع هذا العبور الهادئ قيادة المقرّ الىٰ اجراء تحقيقات سريعة لمعرفة بواعث التحرك الجماهيري الواسع. وبدأت الشكوك تراود المسؤولين حول صحة تقارير البهائيين.

وانطلق فريق من المحققين مع عدد من المترجمين للسؤال عن هدف هذا التحرك الواسع. وبالطبع، فإن أكثر الاجوبة كانت تفيد: بأننا نصلّي للّٰه من اجل أن ينزل علينا المطر. لقد مرّت مدّة طويلة ومزارعنا وحقولنا مهددة

بالجفاف والفناء.

وبالطبع فإن جواباً كهذا لم يكن ليقنع الذهنية الغربية التي بـنيت عـلىٰ اساس مادّي لايؤمن بغير المحسوسات.

لقد بدا الجواب في نظرهم غريباً، وربّما مضحكاً! ولكن رغم كـل ذلك فقد تبددت جميع الشكوك حول اهداف هـذه الحـركة الشـعبية الواسـعة، وصدرت أوامر لإلقاء القبض علىٰ البهائيين الذين سعوا لتدبير هذه المؤامرة وتنفيذ مذبحة مروّعة.

ولقد اختفىٰ المتآمرون بعد أن أصبحوا مطلوبين من اصدقائهم الغـربـاء ومن الشعب ايضاً.

معراج الصلاة

ارتفع الأذان: الصلاة الصلاة الصلاة[1]

اللّٰه أكبر، وينهض الخونساري خـاشعا للّـه، طـالباً الرحـمة والمـغفرة والبركات.

ولنترك الحديث للكتاب القيم «رياض السالكين» ليصف لنا الصلاة:

«صلاة الاستسقاء ركعتان يقرأ الأمام فـي الركـعة الأولىٰ سـورة الحمد وسورة أخرىٰ جهرة، ثم يكبر خمس تكبيرات، بعد كل تكبيرة قنوت ودعاء لطلب المغفرة والرحمة والمطر الوفير.

---

(١) في صلاة الاستسقاء يكون الأذان نداء: الصلاة الصلاة الصلاة.

ويلي ذلك تكبيرة سادسة ثم الركوع، وبعدها يهوى الىٰ السجود فيسجد سجدتين ثم ينهض للركعة الثانية التي تشبه الركعة الأولىٰ الاّ في عدد التكبيرات حيث تبلغ الاربع فقط.

وبعد السلام يقلب رداءه ثم يخطب، وبعد الفراغ من الخطبة يستقبل القبلة ويكبر مئة مرّة، ثم الىٰ اليمين ويذكر:« لا اله الّا اللّٰه» مئة مرّة، ثم الىٰ الشمال ويقول: «سبحان اللّٰه» مئة مرّة، ثم يولي ظهره الىٰ القبلة ويستقبل الناس ويقول «الحمد للّٰه» مئة مرّة.

وكل هذه الاذكار يجب ان تكون بصوت مرتفع، ويردد وراءه الناس بدون الاتجاه الىٰ اليمين أو الشمال.

صلاة اُخرى

لم تظهر للغيوم أثر ذلك اليوم. ويشعر الخونساري الذي أدرك اسرار العبودية، واغترف من بحر رحمة اللّٰه مرّات ومرّات، ان السماء لن تبخل، وان رحمة اللّٰه واسعة، شرط أن يكون العبد صادقاً مع ربّه ومولاه. ومن هنا فقد قرر الخونساري إقامة صلاة أخرىٰ، بجمع أقل، واخلاص أكثر.

وفي اليوم التالي، وبعد الإنتهاء من الدرس، عرض على تلامذته قراره، وما أسراع أن لبّوا دعوته، واتجوا الىٰ بساتين خلف المقبرة، وأُقيمت الصلاة مرّة أخرىٰ.

ولعلّ آية اللّٰه الخونساري توجه الىٰ اللّٰه، ودعاه بنفس كلمات جدّه زين

العابدين. فمن دعاء له عليه السلام عند الاستسقاء:

«اللّٰـهم اسـقنا الغـيث، وانشـر عـلينا رحـمتك بـغيثك المـغرق مـن السحاب المنساق لنبات أرضك المونق في جميع الافاق.

وامنن علىٰ عبادك بايناع الثمرة واحي بلادك ببلوغ الزهرة واشهد ملائكتك الكرام السفرة بسقي منك نافع، دائم غُزُرُه، واسع دِرَرُه، وابِل سريع، عاجل، تحيي به ما قد مات، وتُخرج به ما هو آت، وتوسع به في الاقوات، سحاباً متراكماً، هنيئاً مريعاً طيّعاً مجلجلا غير مَلُثٍ ودقه، ولا خلّبٌ برقه.

اللّٰهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريعاً ممرعاً واسعاً غزيراً تَرُدّ به النـهيض وتجبر به المهيض... اللّٰهم اسقنابه سقياً تسيل منه الظراب وتملأ منه الجباب، وتفجّر به الانهار وتنبت به الاشجار، وترخص بـه الاسـعار في جميع الامصار وتنعش به البهائم والخلق، وتكمل لنـا بـه طـيبات الرزق وتنبت لنا به الزرع، وتدرّ به الضرع، وتزيدنا به قوّة الىٰ قوّتنا.

اللّٰهم لا تجعل ظلّه علينا سموما، ولا تجعل برده علينا حسوما، ولا تجعل صوبه علينا رجوما، ولا تجعل ماءه علينا اجاجا.

اللّٰهم صل علىٰ محمد وآل محمد، وارزقنا مـن بـركات السمٰوات والارض انك علىٰ كل شيء قدير[1].

---

(١) الصحيفة السجادية.

الساخرون

غروب يوم الأحد مضمخ بحمرة قانية ، والسماء قفر من السحب، والأرصاد الجويّة لمقرّ قيادة الحلفاء تتنبأ بصحو تام في طقس غد، وتؤكد على ذلك. وتنطلق السخريات هنا وهناك، يهتف بعضهم: احذروا لئلاّ تجرفكم السيول! ويردّ آخر: سارعوا الىٰ منازلكم، واحضروا مظلاتكم قبل أن تبتلّ ثيابكم.

ويهطل المطر

يروي الاستاذ رسولي في ذكرياته:

«مضىٰ ذلك اليوم، وحلّ المساء، واجتمع الناس للصلاة خلف آية الله الخونساري في مدرسة الفيضية كالمعتاد! لا اتذكر تماماً لأيّة مناسبة كانت تقام مجالس للعزاء بعد الصلاة في تلك الليالي، كان المرحوم الشيخ محمد تقي الاشراقي قد استوىٰ علىٰ المنبر استعداداً للموعظة.. فجأة انهمرت الامطار غزيرة.. عطّلت المجلس.

واستمر المطر يتدفّق بغزارة مدّة اربع ساعات متواصلة، وتدافعت المياه في النهر الجاف الذي يخترق المدينة، وعادت البهجة الىٰ النبات والزروع. وامتلأ الفضاء برائحة الحياة والمطر، وعاد الأمل الىٰ القلوب المؤمنة.

ولقد ظلت هذه الكرامة حديثاً للناس مدّة طويلة، وانبرىٰ الشعراء يترنّمون بقصائدهم واشعارهم بكرامة الخونساري وجاهه عند اللّه.

الاخبار الدولية

عمّت الدهشة معسكر الحلفاء، ووقف العقل الماديّ مشدوهاً أمام ظاهرة لا يمكن تفسيرها طبقاً لقناعاته المحدودة. وطارت الاخبار الىٰ العواصم الدولية، واذيع النبأ الهامّ عبر مرسلات لندن وأمريكا.

ولاحت بارقة أمل في الايمان باللّٰه لدىٰ الناس المقهورين وهم يرون الدنيا تتعرض للخراب والدمار بسبب فساد الانسان وانحرافه عن المسار الالهي.

وعلىٰ اثر هذه الحادثة، زار بعض جنرالات الحلفاء آية اللّٰه الخونساري وطلبوا منه أن يدعو اللّٰه ليخلص العالم من شرور هذه الحرب المدمرة.

الفصل السابع

الحج الامثل

آن لنا أن نتحدث عن صفحة أخرىٰ في حياة آية اللّٰه الخونساري، تلك هي حجّه بيت اللّٰه الحرام، الحج الذي يسعىٰ الىٰ وحدة المسلمين وتوحيد الأمة؛ والوحدة والتوحيد هما روح الحج الابراهيمي.

لقد كان حجه مثالاً عن روح مفعمة بالنشاط. وما وصل الينا من ذكريات حجه، ولو كانت شذرات، فإنها تعبّر عن جمال الحج، كرحلة روحية في رحاب اللّٰه.

حج العلماء

حتىٰ عام ١٩٣٩م، عاشت ايران حرماناً مريراً من الحج مدّة سبعة أعوام، ولعلّ ظلال الحرب العالمية الثانية قد ترك تأثيره علىٰ مستوىٰ الحجاج الايرانيين، ولكن مدّة سبعة اعوام من الحرمان كانت كافية لكي تهفو الارواح

الظامئة الىٰ بيت اللّٰه العتيق. وامتاز ذلك العام بوجود عدد كبير من العلماء الذين جاءوا من مدن ايران وقراها وقصباتها النائية. وكان لذلك الحضور الواسع اثره الكبير، حتى لقد دعي الموسم آنذاك بحج العلماء.

وكان بين العلماء آية اللّٰه الفيض، وآية اللّٰه السبزواري. أما آية اللّٰه الخونساري فقد جاء التحاقه بقافلة الحجيج استجابة لطلب الحاج باقر بيك؛ وهو من كبار التجار في «البازار».

وفي أوائل ذي القعدة عام ١٣٦٨ هـ، انطلق الخونساري الىٰ ارض الوحي وسط توديع حافل لأهالي قم وعلمائها. وقد رافقه في رحلته عدد من مقرّبيه، اضافة الىٰ نجله الاكبر «محمد باقر». وكانت قوافل الحج التي تنطلق من ايران تمرّ أولاً في العراق لزيارة العتبات المقدسة في مدن النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء.

ويتذكر الخونساري تلك الايام الخوالي التي قضاها في بلد المقدسات، وجهاده ضد الانكليز، ورفاقه الذين سقطوا في ساحات الجهاد، والايام العصيبة في السجن والنفي.

وفي اليوم الثامن عشر من ذي القعدة، غادر الخونساري الكاظمية متوجهاً الىٰ سوريا، فيزور مرقد السيدة زينب (رضوان اللّٰه عليها)، ومنها ينطلق الىٰ بيروت، فيصلها في العشرين من ذي القعدة. وكان يوم وصوله حافلاً، فقد استقبله العلماء وعامة الناس. فيمكث هناك ريثما تنطلق باخرة الحجاج الىٰ الديار المقدسة. ويسعىٰ الخونساري مدّة اقامته في بيروت الىٰ إقامة صلاة الجماعة فاستقبلت استقبالاً كبيراً من لدن الجمهور.

الباخرة في الاحرام

وفي الأول من ذي الحجة الحرام، غـادرت البـاخرة سـواحـل البـحر المتوسط؛ والقلوب المؤمنة تتمتم: «بسم اللّه مجريها ومرسيها»[١].

وعنما وصلت الباخرة «الجحفة» ـ وهي مـيقات أهـل الشـام ـ هـتف الخونساري: لبّيك اللّهم لبّيك

ويتبدل وجه السفينة، وتغمرها ثياب الاحرام البيضاء.. وبدت السـفينة كغيمة قطنية تسافر في زرقة البحر.

وأبرق الخونساري من على ظهر الباخرة الىٰ الحاج صدر الاشراف أمير الحاج لتقديم التسهيلات اللازمة للحجاج الوافدين...

وفي السادس من ذي الحجة، وصلت قافلة الحجيج مدينة جدّة. وتتدفق دموع الشوق.. شوق كان يضطرم في القلوب وهي تهفو نحو بيت اللّه الحرام، والقوافل القادمة من اصقاع بعيدة تتّجه الىٰ الكعبة.. أول بيت وضع للناس.

هتاف الوحدة

وبعد وصول الخونساري مكة، وأداء مراسم الحج، وجّه الملك سـعود ـ ملك الحجاز ـ الدعوة اليه، ولكن منظر مـقبرة البـقيع ومـثوىٰ ائـمة أهـل البيت(عليهم‌السلام) ترك غصة في صدره؛ ويأسه الكامل من موقف الحكام حـال

---

(١) هود : ٤٢ .

دون اللقاء، حيث رفض الخونساري زيارة الملك.

ولقد تزامن وصول آية اللّٰه الخونساري مع نشوب خلاف بين السنة والشيعة حول رؤية هلال ذي‌الحجة، فوضع حداً للنزاع بشهادته رؤية الهلال. ولعلّها المرّة الأولى التي تمكن فيها الشيعة والسنة من اداء حج التمتع في وقت واحد.

كان الخونساري يسعىٰ في تمتين روابط الاخوة بين الشيعة والسنة، وبث روح الوحدة والاتحاد في قلوبهم، ليكونوا يداً واحدة علىٰ من سواهم؛ ومن اجل هذا، رفض اقتراحاً تقدم به الشيعة في إقامة صلاة الجماعة بإمامته، وفضل الاشتراك في صلاة الجماعة التي يقيمها أهل السنة في تجلٍّ واضح لوحدة المسلمين وتوحيد كلمتهم.

وينطلق الخونساري مرتدياً ثياب الاحرام مرّة أخرىٰ الىٰ صحراء عرفات حيث غفر اللّٰه لآدم معصيته.

ومن هناك الى المشعر الحرام، ثم ليرجم الشيطان في منىٰ، ثم لتقديم الهدي، وبعدها العيد تعبيراً عن فرحة الانسان بانجاز مراحل التحرك العبودي للّٰه سبحانه وتعالىٰ.

وتطوف الجموع حول الكعبة سبع مرّات، كما تدور الفراشات حول الشموع، يعقبه السعي بين الصفا والمروة، وطواف النساء، ثم رجم الشيطان مرّة أخرىٰ.

طواف الدموع

يروي السيد شريف الرازي ذكريات مكة قائلاً:

«بدا السيد الخونساري ليلة عيد الغدير في حال أخرىٰ. لقد ظل يطوف حول الكعبة حتىٰ الصباح. وكان طوافه طوافاً للدموع، والبيت الحرام يكاد يقفر عن الحجاج. الصمت يهمين علىٰ كل شيء. والذين ظلّوا في المسجد الحرام لم يكترثوا لتلك الليلة وخلدوا الىٰ النوم.[1]

في مدينة الرسول

يفقد الحج نكهته دون لقاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وزيارة الأئمة من أهل البيت(عليهم السلام) في البقيع مثوىٰ البتول (عليها السلام).

في أواخر ذي الحجة، توجه آية اللّه الخونساري صوب مدينة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، ونزل ضيفاً علىٰ أحد كبار الشيعة هناك؛ وهو السيد حسين الحبوبي. وقد توجه أولاً لزيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة من أهل البيت في البقيع، وراح يتلفت هنا وهناك بحثاً عن قبر فاطمة (عليها السلام) حيث خفاء مثوىٰ البتول مايزال يثير اسئلة عديدة. فعاد أدراجه والدموع تملأ عينيه حزناً علىٰ ضياع أحد الثقلين العظيمين[2].

---

(١) آثار الحجة ج١، ص١٥٣

(٢) إشارة الىٰ الحديث الشريف: إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل‌بيتي

وراح الخونساري الكبير يتفقد منازل «السادة» من نسل الرسول وولد فاطمة(عليها السلام)، ولم يحجم عن تقديم العون لهم ومساعدتهم.

واضحىٰ مكانه في المدينة معلماً يقصده الوافدون الىٰ الحج وزيارة قبر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)

ومن جملة لقاءاته؛ زيارة الوفد المصري بزعامة الشهيد (حسن البنا) المرشد العام للاخوان المسلمين؛ وكان اللقاء صميمياً للغاية، تبادل فيه الطرفان هموماً اسلامية وأخوية؛ وتجلّىٰ فيه حرص آية اللّٰه الخونساري علىٰ أخوة المسلمين ووحدة كلمتهم. وفي معرض حديثه اثناء اللقاء، قال الخونساري: «المسلمون واتباع القرآن ـ اليوم ـ في غاية الضعف في مقابل الامم الأخرىٰ، وهذا الموضوع واضح لاشك فيه، ولذا يتعين علىٰ كل المسلمين وضع الاختلافات جانباً والاتحاد جميعاً، وأن تحكم بينهم أواصر المحبة، وأن الواجب الاسلامي يحتّم علىٰ العلماء من الفريقين السعي الى ذلك من خلال محاربة الجهل لأنه يخدم المنافقين الذين يسعون الىٰ بذر الاختلاف بين الأخوة».[١]

وكان الوفد المصري يضمّ بعضاً من علماء الازهر واساتذته، وقد أعربوا عن تقديرهم واحترامهم لآية اللّٰه الخونساري، الذي وجد في هذا اللقاء فرصته لتوضيح بعض الممارسات الشيعية كالسجود علىٰ التربة «الحسينية» فقال: من وجهة نظر الشيعة تفضيل السجود علىٰ التراب، وامتياز هذه

---

(١) مجلة (مجموعه حكمت) السنة الاولى العدد ١٢ ص ٤٤

التربة؛ هو أن الحسين بذل كل شيء في سبيل اللّٰه واعلاء كلمة الاسلام، فقد قدم عياله واطفاله أولاده وروحه الىٰ اللّٰه. وسجود الشيعة علىٰ التربة التي شهدت هذه التضحيات هو تعبير عن مواصلة طريق الحسين في التضحية والفداء من اجل اعلاء كلمة «لا اله الا اللّٰه» اضافة الى الروايات العديدة حول ذلك».

واجاب الخونساري عن سؤال حول علّة تقبيل الاضرحة المقدسة قائلاً: «إنه يشبه ما يقوم به إخوانهم من أهل السنة في تقبيل القرآن».

وفي نهاية اللقاء، أعرب الوفد المصري عن تقديره للزعيم الشيعي، وتعهد بالعمل علىٰ بثّ الوعي وروح الأخوة التي هي من صميم الاسلام والقرآن.

وخلال إقامته سعىٰ الخونساري الىٰ تذليل بعض الصعوبات التي تواجه قوافل الحجاج من الشيعة، خاصة تلك التي تأتي من طريق الكويت.

لقاء الحسين

وتطل أيام المحرم.. شهر الحزن، وكان الخونساري في حال لا تساعده على تحمل مشاق السفر، فتوجه الىٰ العراق علىٰ متن طائرة، شوقاً الىٰ لقاء الحسين زعيم الاحرار وسيد الشهداء، في أرض الدم والشهادة والفداء

كربلاء تستعيد الذكرىٰ، ذكرىٰ المذبحة المروّعة لاكثر من سبعين عظيماً، سقطوا شهداء من أجل الاسلام وكرامة الانسان؛ وفي طليعتهم سبط محمد(ص).

وفي العاشر من صفر توجه الخونساري الىٰ النجف لزيارة بطل الاسلام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، وهناك يلتقي آية اللّٰه «الگلبايگاني».

ولم ينس الخونساري ابناءه الروحيين من طلبة الحوزة العلمية، فـفرّق بينهم مبالغ من المال.

ومن النجف انطلق الخونساري الىٰ الكاظمية ثم سـامراء، وتـفقد فـيها الطلاّب، ولم يحجم عن تقديم العون اليهم.

ومن سامرّاء كرّ راجعاً الىٰ كربلاء، حيث اطـلت ذكـرىٰ «الاربـعين».. اربعين الحسين(عليه السلام)، فيجدّد مع جدّه العهد.. عهد الايمان والفداء.

الاستقبال الكبير

وفي السابع والعشرين من شهر صفر، عاد الخونساري الىٰ أرض الوطن.

فصل الخـريف يـوشك عـلىٰ الرحـيل، والريـح بـاردة، وقـد حـرص الخونساري علىٰ العودة دون علم أحد، حتىٰ لا يضطر الناس الىٰ اسـتقباله في مثل هكذا طقس. ولذا أمر مرافقيه بعدم الابلاغ عن تحرك القافلة.

ومع كل هذا فقد استقبل الخونساري بحفاوة بالغة في مـدن كـرمنشاه، نهاوند، ملاير، و أراك.

وفي الأول من ربيع الأول، وصل آية اللّٰه الخونساري مدينة قـم التـي استقبلته بالاحضان، فعمت الفرحة المدينة، ونحرت الذبائح ابتهاجاً بعودته.

الفصل الثامن

الفضائل

حراسة القلب

يروي آية الله الأراكي ذكرياته عن استاذه، فيسجل بعض مشـاهداتـه النافذة: من الاشياء الاخرىٰ التي لمستها فيه؛ أنه كان بوّاباً علىٰ قـلبه يـحرسه مـن خـطرات الظـنون وهـمزات الشـيطان. فـالقلب مـعرّض للـخواطـر والخـيالات، فـان كـان شـيطانيا طـرده وأبـعده، وإن كـان رحمانيا أفسح له الطريق وأدخله. واذن فـالقلب يـحتاج الىٰ حـراسـة، والاّ شغلته عفاريت الجن، ومن شـغلت عـفاريت الجـن قـلبه لا تـرِده الملائكة.[1]

ذكرىٰ الاستاذ

في عام ١٣١٥ هش، العام الذي رحل فيه آية الله الحائري عن الدنـيا، بقيت هذه الذكرىٰ عالقة في قلب تلميذه الوفيّ. فطالما تطرّق في دروسه الى

---

(١) مجلة (حوزه) العدد١٢ ص٢٨

ذكرياته مع استاذه الكبير. ولعلّ إقدام «رضاخان» علىٰ منع إقامة مجالس الفاتحة علىٰ روحه الطاهرة، قد ترك غصّة في قلب الخونساري الذي ظلّ يذكر استاذه، ويستشهد بآرائه دائماً. فلم يكن الحائري استاذاً فحسب، بل كان ملهماً روحياً لتلاميذه ومريديه. ولقد ادرك تلامذة الخونساري هذه الروح المستقرة في اعماقه، فعرضوا عليه تدريس كتاب «الصلاة» لآيةالله الحائري وأن يكون محوراً لبحوث «الخارج»، فلقي الاقتراح من لدن التلميذ الاستاذ ترحيباً كبيراً.

مع تلامذته

كان الخونساري عطوفاً على تلامذته.. رحيماً بهم، يستمع الىٰ آرائهم وانتقاداتهم باحترام كامل، ويسعىٰ ـ من خلال الحوار معهم ـ الىٰ إفهامهم أولاً، وبناء شخصيتهم. فهو يصغي الى حديثهم حتىٰ النهاية، ثم يبدأ جوابه علىٰ اشكالاتهم. فاذا انتهىٰ الدرس تبدلت علاقته معهم من استاذ وتلاميذ الىٰ اصدقاء، فيضع ـ جانباً ـ كل الاعتبارات، ويجلس معهم كواحد منهم. ومع كل هذا التواضع والخلق الرفيع، فإن تلامذته كانوا يجلّونه ويتهيّبون سؤاله.

كان لهم أباً رؤوفاً.. يبادر الىٰ قضاء حوائجهم؛ وقد اشتهر عنه سماحته في العطاء والزيادة في المرتبات المخصصة لطلاب الحوزة، متجاوزاً بذلك الحد المقرّر.

روح العلم

عندما تسكن المعرفة في الروح، ويكتشف الانسان الحقيقة.. عندها يدرك سرّ العبودية، فيتواضع اجلالاً، لأنه حقيقة العلم ومبدأ كل الكمالات، وعندها يلوح الطريق واضحاً مستقيماً لا عوج فيه ولا كبر، ويجد القلب خيطه المتعلق بالغيب. والذين يتكبرون ويمشون الخيلاء أولئك لا طريق لهم الىٰ عالم القدس. التكبر اطاح بابليس، وطرده من عالم الملائكة الىٰ عالم الشياطين. فثمرة العلم التواضع؛ والتواضع يؤدي الىٰ العبودية؛ وفي العبودية يكمن جوهر الحرّية.

يقول الاشرفي: لقد بلغ آية الله محمد تقي الخونساري من التواضع حدّاً جعله يبتدر السلام دائماً، ولم يكن يترك فرصة لغيره ليفعل ذلك[١].

ابو المحرومين

عاشت ايران بسبب سوء السياسة وفساد الزعامات شكلاً رهيباً من اشكال الطبقية، وظلما اجتماعياً طال شرائح مختلفة من الشعب الايراني، وكانت الهوّة بين الفقراء والاغنياء واسعة تعبّر عن حالة اجتماعية مؤسفة. والأشدّ ايلاماً للنفس؛ ضياع الفقراء، فهم يعيشون آلامهم وعذاباتهم وحدهم

---

(١) سيماى فرزانگان ـ محمد رضا مختاري

دون أن تتداركهم يد المعونة فتخفف شيئاً من معاناتهم وبؤسهم.

وكان الخونساري يدرك ـ تماماً ـ هذه الناحية في جسد الأمّة، وكان يحث الاغنياء والمحسنين الىٰ مدّ يد الإغاثة والعون للمحرومين.

ولقد عرف عند تعاطفه العميق مع هذه الشريحة المسحوقة من الناس، فكان يستقبلهم ببشاشة ولطف، وكان بذلك يُجسّد سيرة آبائه واجداده الصالحين. وطالما كان يردد حكاية سمعها عن المرحوم العلاّمة الشيخ جعفر الكبير: فقد طلب أحدهم منه «صوماً وصلاة» بالايجار نيابة عن شخص مدّة عشرين سنة، فقضىٰ سني عمره الأخيرة وشيخوخته صلاة وصياماً، فلم تمض مدّة اسبوع أو اكثر حتىٰ انقطع سيل الرسائل التي كان يكتبها الىٰ آية الله الكاشاني حول شؤون الناس. وفي كل شهر كان عدد من المرضىٰ يعالجون أو ينقلون الى المستشفىٰ بطلب منه. ويمكن القول أن أياديه الرحيمة كانت تحمل العطف والابوّة الى المحرومين.[1] وحكاية أخرىٰ رواها الاستاذ حسين النوري: كنا عدّة أشخاص، وقد توجهنا لزيارة الخونساري في منزله. وعندما وصلنا رأيناه قادماً ـ هو الآخر ـ الىٰ المنزل. وفي الاثناء، عرض له سائل وطلب منه قميصاً يرتديه. فدخل السيد الغرفة، ودخلنا خلفه. وفي الغرفة خلع السيد عباءته، ثم نزع قميصه، ولبس عباءته، وسلّم القميص للسائل، وجلس الينا يحدّثنا ويجيب عن اسئلتنا.

---

(١) مجلة (مجموعه حكمت) السنة الاولى العدد ١٢ ص ٤٠

حياة بسيطة

عندما يدرك الإنسان أنه عبد للّٰه، يعيش حـياة بسـيطة.. حـياة مـفعمة بالقناعة، والطمأنينة، والسلام.

ولقد كان الخونساري كاستاذه يعيش حياة البساطة متأسياً بفقراء أمّته، في وقت كان يمكنه أن يعيش حياة الرخاء والرفاه والدعة.

وان مسؤوليته ـ كمرجع وزعيم للأمة ـ حالت بينه وبـين التـفكير فـي نفسه؛ لهذا غلبت عليه البساطة في المأكل والملبس. فثيابه من نفس الثياب التي يرتديها الخدم في بيته، وطعامه وطعامهم واحد، علىٰ مائدة واحدة مع أولاده، يتمازح معهم ويتجاذب وإياهم أطراف الحديث.

ينقل السيد الاشرفي عن استاذه أنه كان يشرب الشـاي فـي فـنجان مصنوع من الفخار. ولم يستجب الىٰ مطالبنا بأن يشرب فـي فـنجان زجاجي رغم قيمته الزهيدة ولقد كان بحق اسوة للمحرومين.[1]

الايمان

عندما يستقر الايمان في قلب المرء، تترعرع الاخلاق؛ ذلك أن الايمان يهيئ الظروف والمناخ الملائم للنمو الخلقي. ومن خلال ذلك ينشأ القانون الاخلاقي في الذات الانسانية، حيث يتجلّىٰ في مسألة «الأمر بالمعروف

---

(١) مجلة (حوزه) العدد ٣٦ .

والنهي عن المنكر».

ولقد كانت هذه الخصلة واضحة تماماً في شخصية الخونساري يلمسها المرء فيه منذ الوهلة الأولىٰ.

وهو عندما يحاول الاشارة الىٰ ظاهرة ما، لا يبدي ادنىٰ تشنّج ازائها، بل يطرح رايه ممتزجاً بالدعابة والابتسامة المحببة التي تلغي ـ تماماً ـ الأثـر السلبي للصدمة.

وقد سمع عنه في حضور بعض الشباب الذين اعتادوا حلق ذقونهم، قوله مبتسماً: «رحم اللّٰه آباءنا، كانوا يعدّون اللحىٰ رمزاً للرجولة».[1]

وقد تعجز الاشارة الشفهية عن بلوغ الهدف فـيعمد الىٰ الكـتابة حـول بعض الظواهر الانحرافية ورأيه فيها.

وتستقي مواقفه السياسية المشرقة من نفس هذا النبع الاخلاقي الفياض.

منزلة القرآن

ذات يوم، كان الخونساري في جمع من مريديه، فسأله أحدهم، وكـان يريد التفأل بالقرآن: أيوجد قرآن في خدمتكم!!!، وبوغت الخونساري بهذا السؤال، وبانت علىٰ ملامحه علامات الغضب فصرخ بوجهه: من أنـا لكـي يكون القرآن في خدمتي!! الناس جميعاً ـ صغيرهم وكبيرهم ـ فـي خـدمة القرآن، ويشرّفهم ذلك. لو كانت لي القدرة لعلمتك الأدب، لقد نفث الشيطان

---

(١) مجلة (مجموعه حكمت) السنة الاولى العدد ١٢ ص٢٤

علىٰ لسانك، فلا تعد الىٰ مثلها أبداً.

ذكرىٰ زينب

كان الشريف الرازي مؤرخاً قضىٰ حياته في دنيا التاريخ ـ باحثاً ومنقباً ومحققاً. وقد توصل الىٰ أن تاريخ وفاة زينب (ابنة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله وسلم كانت منتصف شهر رجب عام ٦٢ هـ. وساق في ذلك خمس عشرة وثيقة تاريخية تؤيد بحثه.

وقدّم بحثه الىٰ آية اللّٰه الخونساري، وقد أعادت تلك الحادثة الىٰ الأذهان ذكرىٰ بطلة كربلاء التي قضت نحبها غريبة كسيرة القلب.. القلب الذي لم يطق مأساة عاشوراء ومصرع أهل بيتها عطاشىٰ علىٰ شاطئ الفرات.

وقد أقام الخونساري بهذه المناسبة مجلساً للعزاء، وذلك في ١٥ رجب سنة ١٣٢٨ هـش (١٩٤٩ م) بعد الانتهاء من اداء صلاة العشائين في مدرسة الفيضية.

ثم انطلق موكب العزاء الىٰ الحرم المطهر للسيدة فاطمة بنت الامام الكاظم (عليه السلام).

ومنذ ذلك الوقت، اقترن يوم ١٥ رجب بذكرىٰ رحيل بطلة كربلاء.

حيث تعطل المدينة اسواقها حداداً.

الغضب الضائع

نسائم الربيع تهبّ من عبق التاريخ، وذكرىٰ ولادة الرسول الاكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) تقترب، تحمل معها إشارات الفرح في السابع عشر من ربيع الأول حيث ولد النور في مكة أم القرىٰ.

الخونساري ينقل خطاه هادئاً في عودته من صلاة الجماعة في الفيضية الىٰ منزله. قلبه يخفق بذكر اللّٰه، وعلىٰ لسانه تجري تمتمات الصلاة. في فناء المدرسة يعرض له شخص يحسبه المرء مختلاً منذ الوهلة الأولىٰ. تلا الشخص آية من آيات السجود، وما أن سمعها الخونساري حتىٰ هوىٰ الىٰ الأرض ساجداً للّٰه.

وعندما أراد الخونساري أن يرفع رأسه، كرر الشخص تلاوتها مرّة أخرىٰ. ويخرّ الخونسارى ساجداً. وهكذا مرّات ومرّات. فأراد بعض مريديه تأديبه، فمنعهم عن ذلك ولم يبد عليه الغضب ابداً. ولعلّه كان مستمتعاً بالسجود للّٰه الواحد القهار.

في المستشفى

تركت حوادث الحرب العالمية الأولىٰ وما أعقبها من نتائج مرّة في اعتقاله، ثم نفيه الىٰ جزيرة نائية من جزر سنغافورة، والتعذيب والتجويع الذي تعرّض له خلف الاسلاك الشائكة مدّة أربعة اعوام.. تركت آثارها في قلبه وصحته، فظهرت مع تقدمه في السن. اذ بدأ يشكو تعباً في قلبه. وقد

نصحه الاطباء باللجوء الىٰ مستشفيات طهران؛ وقد وافق الخونساري وقتها علىٰ ذلك. ولم يكن توجهه الىٰ طهران منحصراً في هذه المسألة، بل اتـخذ منها ذريعة للوقوف علىٰ تطورات الاحداث في العاصمة، سيما وأن قـضية تأميم النفط كانت تثير ضجة كبيرة. وهكذا شـد الخـونساري الرحـال الىٰ طهران في خريف عام ١٣٣٠ (١٩٥١ م).

وقد مكث آية اللّٰه الخونساري في المستشفىٰ مدّة اربعة شهور ونصف، وكان خلالها يتفقد المرضىٰ، ويخفف قدراً من آلامهم، ويقدم يد العـون الىٰ محتاجهم.

النشاط الثقافي

من اعمدة الرقي في المجتمعات والأمم التي يقوم عليها صرح مجدها، تعليم وتربية الجيل الناشئ، فهو جيل الغد، والجيل الذي يصنع المسـتقبل وينهض عليه البناء.

ولقد اشار الخونساري الىٰ هذه النقطة الحساسة في حياة الشعوب قائلاً:

لو ضمنّا تربية الاطفال والصغار في البلاد ووفّرنا لهم بـيئة مـناسبة واستاذة ومعلّمين أوفياء لدينهم ووطنهم، فإننا سنضمن مـئه بـالمئة مستقبل ورقي ومجد بلادنا. ولكن عندما يشرف عـلىٰ تـعليم ابـنائنا اساتذة متحلّلون لا التزام لهم تجاه دينهم ووطـنهم، وكـانت البـرامـج والمناهج قائمة علىٰ أساس لا ينسجم مع الاخـلاق والوطـن والديـن،

فإننا لن نحقق ـ في النهاية ـ سوى الفوضىٰ والخسران، وسينشأ جيل غريب يبيع وطنه ومجد بلاده الىٰ الاجنبي.

ولم يكتف الخونساري في الاشارة الىٰ هذه النقاط الحساسة والتوقف عند هذا الحدّ بل تعدّاه الىٰ تذكير الحكومات المتعاقبة ـ مراراً وتكراراً ـ حول تعيين أو انتخاب وزراء كفوئين وصالحين للثقافة والتعليم والمعارف.

فقد وجه نداءه الىٰ المسؤولين أثناء إقامته في المستشفىٰ، عبر بيان نشرته الصحف جاء فيه: من المؤسف جداً ان نشهد تصاعد الدعاية ضد الدين في أوساط الشباب، حيث يقوم المنحرفون الملحدون في بث سمومهم في أذهان ابناء المسلمين، وإن والواجب الديني يحتّم عليكم حماية هذا الجيل من الانحراف، وأن تنتخبوا لهم اساتذة ومعلّمين ومربّين صالحين.

وفي معرض استيائه عن تنامي المدّ اللاأخلاقي في حركة النشر الثقافية قال: لماذا السكوت علىٰ دور النشر التي تطبع الكتب الضالّة؟ لماذا تفسحون لهم المجال بنشر سمومهم والدعاية ضد الدين في دولة إسلامية؟ لماذا كل هذا الضجيج ضد الاسلام؛ وهو طريق نجاة المسلمين، بل العالم كلّه.

ولقد أبدىٰ الخونساري قلقه إزاء هذه الظواهر المخرّبة، حتى انه أبرق الى الدكتور مصدّق بعد تشكيل وزارته أن يعين رجلاً لائقاً في وزارة الثقافة، وقد وعد الأخير آية اللّٰه الخونساري بذلك.

الفصل التاسع

فتاوىٰ الغضب

خلع الحجاب

احدثت زيارة (ميرزا علي اصغر خان حكمت ـ وزير الثقافة والمعارف) الىٰ شيراز سنة ١٣١٣ هـ (١٩٣٤ م)، والاحتفال الذي اقيم في مدرسة شاهپور بهذه المناسبة ضجّة كبرىٰ.

فلقد شاركت في الاحتفال شرائح متعددة من المجتمع، وفوجئت ببرامج الاحتفال المخطط له مسبقاً، حيث ظهرت اربعون فتاة سافرة علىٰ خشبة المدرسة، وبدأن الرقص علىٰ انغام الموسيقى.

وكان لهذا الحادث صدىٰ الانفجار، وايذاناً ببدء سياسة حكومية عنيفة في طريق خلع الحجاب بالقوّة.

وقد ظن الناس وقتها ـ وبسبب بُعد شيراز عن طهران ـ أن الحادث خطط له محلّياً، وأن رضاخان (شاه ايران) لا علم له بذلك. غير أن الوزير المذكور بدد ضباب الشك باليقين عندما صرّح قائلاً: «ربما يظن البعض أن هذه الاجراءات مجرّد ارتجال في شيراز، ولكن الحقيقة أنها تمّت بعلم

وتشجيع جلالة الملك».

ولعلّ آية الله سيد حسين القمي قد عبّر عن ضمير قطاع كبير من الأمّة عندما صرّح باكياً: إن الاسلام يحتاج فدائياً، وأنا مستعد للفداء».

وقد ابرق الىٰ رضاخان بضرورة تراجع الحكومة عن اتخاذ اي اجراء يرمي الىٰ خلع الحجاب، وهدّد بمعارضة ذلك بشدة.

وهكذا، كان القمي أول من دخل حلبة الصراع مع الحكومة في هذا المضمار.

وتوالت الحوادث. ولم يجد آية الله الحائري مصلحة في كسر حاجز الصمت، والاجهار بمعارضة سياسة «الشاه»، الاّ أنه أوعز الىٰ اخلص وأبرز مريديه؛ وهو آية الله الخونساري بدعم المعارضة ومساندة موقف القمي في كل الميادين. ولم يكن الخونساري ليحتاج تحريضاً في هذه المسألة، فقد عدّ خطوة الحكومة بداية الانزلاق في الهاوية.

يتحدث الشريف الرازي عن دور آية الله الخونساري في تلك الفترة:

لقد كان الخونساري شريك القمي في الصراع المرير الذي خاضاه مع الحكومة حول مسألة خلع الحجاب[1].

وبالرغم من حراجة الموقف وحساسية الظروف، فقد صرّح الخونساري بفتواه بشجاعة متحدّياً حكومة دموية كانت في أوج حماسها لعملية تحديث ايران ومحاولة تقليد تركيا:

«إن حرمة خلع الحجاب علىٰ النحو الشائع في العاصمة أمر لا غبار

---

(١) آثار الحجة ج١ ص١٥٥.

عليه، وإن التصدّي لها يدخل في باب الأمـر بـالمعروف والنـهي عـن المنكر وهو واجب علىٰ كل أفراد الأمة وإن التقصير في هذه الفريضة حرام»[١]. محمد تقي الخونساري

من تلك الايام

كان رضاخان مفتوناً بأتاتورك، متأثراً بالحلم التركي، وكان يسـعىٰ الىٰ الاقتداء بتركيا التي راحت تلهث وراء سراب الغـرب. ولتكـن القـبعة هـي البداية. ستصبح رمزاً لوحدة الأمّة. وعلىٰ العلماء ايضاً ارتداء القـبعة ونـبذ العمامة بعيداً.

لنستمع الىٰ ذكريات الشيخ مجتبىٰ العراقي عن تلك الفترة:

في الطابق العـلوي الغـربي مـن المـدرسة الفـيضية، وإلىٰ جـانب المكتبة تـوجد ثـلاث غـرف؛ الأولىٰ: كـانت لآيـة اللّـه السـيد مـحمود الطالقاني، والثانية: كانت لآية اللّه الغروي، اما الثالثة فكانت لي. وقتها، كان السيد الطالقاني غائباً عن قم فـي سـفر له، وعـندما عـاد سـألنـي السيد الخونساري عن ذلك فـاخبرته. واتـفقنا عـلىٰ زيـارته فأطـلعت الطالقاني علىٰ موعد يعقب صلاة العشاءين.

وعندما ذهبنا وجدناه قد هيّأ لنا فرشاً خارج الغرفة، فجلسنا لديه، وتجاذبنا أطراف الحديث.

---

(١) مجلة (مجموعه حكمت) السنة الاولى العدد ١٢ ص٢٦.

كان الطالقاني ـ كما عرفته ـ مفعماً بالنشاط.. يتحدث بحماس اشبه ما يكون ببركان ثائر.

وكان لابدّ للحديث أن يعرّج علىٰ تلك المسألة الحساسة، فابتدر الطالقاني الخونساري قائلاً: لقد سافر رضاخان الى الشمال، وقد اصدر حكماً عشية سفره: لا أريد بعد عودتي أن أرىٰ عمامة واحدة في طهران، وقد تعرّضت الشرطة لكل المعممين، وكانوا ينتزعون عمائمهم بامتهان ويقصّون عباءاتهم من الوسط ثم يطلقون سراحهم ساخرين.

كان الطالقاني غاضباً، وأردف: إن قم ليست بعيدة عن طهران وما يجري في العاصمة يمكن أن يسري في قم أيضاً، فماذا تنوي أن تفعل؟

ابتسم الخونساري وقال: هذا مجرّد احتمال، وهناك احتمال أن لا يصل شيء من هذا الىٰ قم، بل قد يلغىٰ هذا الاجراء من الاساس.

ومن العجب أن الاجراءات بقيت تراوح مكانها في العاصمة مدّة ثم ألغيت. ولا اتذكر السبب الذي حدا بالحكومة الىٰ إلغائها[١].

البذرة المشؤومة

مع هزيمة الالمان في الحرب العالمية الثانية، لاحت في الأفق بوادر السلام في العالم، وكانت الشعوب تتطلع الىٰ عصر جديد مفعم بالأمل؛ غير

---

(١) مجلة (حوزه) العدد ٣٦ ص٣٧.

أن بريطانيا التي خرجت منتصرة من الحرب، زرعت في الارض الاسلامية كياناً غريباً.

وتعاونت الصليبية الحاقدة، والصهيونية الفاسدة، فظهرت الىٰ الوجود دولة اسرائيل، وبرزت الىٰ السطح أعقد مشاكل الشرق الاوسط منذ منتصف القرن العشرين، وحتى اليوم.

ولم يكن من السهل علىٰ الأمة الاسلامية أن تتحمّل الاغتصاب والعدوان وانتهاك المقدّسات.

ولقد كانت المزاعم الغربية حول إبادة اليهود في المانيا، ذريعة لبريطانيا من اجل انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، بالرغم مما تحمله هذه الارض المقدسة وما تضمّه من ذكريات وأماكن يعتزّ بها المسلمون.

القدس أولىٰ القبلتين.. ارض الاسراء وانطلاقة المعراج.

لقد حيكت آلاف الدسائس والمؤامرات في الظلام، ومرّرت عشرات المخططات الدنيئة دون ردّ فعل في مستوىٰ الجريمة البريطانية. ويمكن القول أن الصرخة الأولىٰ جاءت من ايران؛ من اية اللّٰه الكاشاني ؛الرجل الدي دوّخ البريطانيين في جهاده ومواقفه وصلابته.

وكانت فتوىٰ الكاشاني بوجوب نجدة الفلسطينيين بالسلاح والمال والارواح وخوض الحرب مع اليهود، بداية لمواقف ثورية اتسمت بالشجاعة والجرأة.

كما سجل الخونساري تضامنه وتأييده الكامل للكاشاني عبر فتاوى عديدة:

وهكذا تدفّق آلاف المجاهدين للتطوّع والانطلاق الىٰ فلسطين لخوض

الحرب المقدسة؛ غير أن الحكومة حالت دون ذلك، فتمكن البعض من التسلل خفية والمشاركة في الجهاد ضد اليهود المعتدين.

صرخة الكاشاني

لم يكن الانكليز يتحمّلون رؤية الكاشاني. فأينما حلّ، اشتعلت النار تحت اقدامهم. ولذا فقد عمدوا الىٰ مطاردته فور احتلالهم لايران سنة ١٩٤١

ولقد ظل الكاشاني يخوض صراعه المرير سرّاً حتىٰ إلقاء القبض عليه، فأُودع السجن في قلعة «فلك الافلاك»[١] وكانت معاملتهم له عنيفه وقاسية وفي ظروف بالغة الصعوبة. وبالرغم من كل ذلك فقد كانت كلمات الكاشاني تدوّي عالياً: «اذا بقيت حيّاً سأسعىٰ في أن **تقطع الامة الاسلامية نفطها عن الانكليز.. حتى قطرة واحدة**».

وبعد ثمانية وعشرين شهراً، أُفرج عن الكاشاني ليتخذ من قضية النفط ذريعة للعودة الىٰ المسرح السياسي، في وقت كانت الأمة تنظر بعين الشك الىٰ العلماء الذين يتدخلون في «السياسة».

وهكذا خاض صراعه مع الانكليز وهم في أوج قوّتهم وألحق بهم هزيمة مذلّة.

ولا ننسىٰ أن نشير الىٰ دور الخونساري الفاعل في دعم الكاشاني ومساندته في معركته مع المستعمرين.

---

(١) في مدينة كرمنشاه، غرب ايران.

حلقات المحبّة

تعود العلاقات بين الخونساري والكاشاني الىٰ عهود مبكرة، مذ كانا تلميذين في النجف الاشرف؛ وقد تعمقت علاقاتهما إبّان الإجتياح الانكليزي لأرض العراق في الحرب العالمية الأولىٰ.

لقد زار الكاشاني قم مرّتين، وكان أول مكان يتوجّه اليه، هو منزل آية الله الخونساري. أما الخونساري، فطالما استنجد بالكاشاني في قضاء حوائج الناس.

وقد عاد الكاشاني رفيق جهاده في المستشفىٰ مرّات عديدة. ويمكن تفسير دعم الخونساري لحركة «فدائيان اسلام» علىٰ اساس هذه الصداقة المتينة. وقد أضحت صلاة الجماعة التي كان يقيمها في مدرسة الفيضية محلاًّ لحضور ولقاءات اعضاء الحركة الثورية (آنفة الذكر)، وكانت علاقاتهما في تلك الحقبة الحساسة، يوم كان البروجردي يبدي عدم ارتياحه للكاشاني لمواقفه المتطرّفة، وكانت العلاقات بينهما يشوبها البرود.

علىٰ أن البروجردي كان يسعىٰ في بعض الاحيان الىٰ كسب ودّ الكاشاني، فقد توجه ذات صباح الىٰ منزل آية اللّه الخونساري عندما سمع بوصول الكاشاني، وقد ردّ الكاشاني زيارته بزيارة مماثلة.

فتوىٰ المصير

صدرت صحيفة «باختر» في عددها ٤٥٢ وهي تحمل عنواناً عريضاً:

آيةاللّه الخونساري مرجع تقليد المسلمين يفتي بتأميم النفط.

وجاء في تفاصيل الخبر: أفادت تقارير اليوم أن آية اللّٰه الخونساري المرجع الاعلىٰ للمسلمين اصدر فتواه في تأميم النفط، وقد جاءت الفتوىٰ ردّاً علىٰ سؤال حول ذلك، فافتىٰ بوجوب تأميم النفط وقطْع أيادي الاجانب عن نهب ثروة البلاد.

بسمه تعالىٰ

لقد كان سؤالكم حول السكوت والرضا عن ضياع حقوق إيران في مسألة النفط؛ وبالطبع لم يكن سؤالكم من اجل معرفة الموقف الشرعي إزاء هذه القضية، فالسؤال جاء شاملاً دقيقاً مميزاً للمصالح والمفاسد بعيداً عن كل شبهة يحتاج الىٰ رفعها، ولكني لاحظت أن السؤال جاء في الواقع احتراماً للشريعة ولإقناع الذين يفتقدن قدرة التشخيص في هذا الموضوع. ولذا فأنا اعرب عن احترامي العميق عندما يكون السؤال نابعاً من نفس تحاول منح الشرعية للاجراءات والقوانين المتبعة بحيث توافق الشريعة الاسلامية، وفي هذه المناسبة أودّ أن انقل لكم هذه الحادثة في زمن الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقد مات أحدهم في زمانه وكانت ثروته تتألف من مجموعة من العبيد، ولكي يوفر لسفره الىٰ الآخرة والحساب زاداً، أعتق عبيده جميعاً، لما في ذلك من أجر كبير حث عليه الاسلام. وعندما دفن وأُخبر النبي بذلك، قال متأثراً: لو علمت بذلك قبل دفنه لمنعت دفنه في مقابر المسلمين، ولكن لماذا؟! لأنه ترك وراءه عيالاً حيارىٰ معدمين، دون مؤونة، وهم لا يقدرون علىٰ إمرار معائشهم.

هكذا كان موقف رسول اللّه (ﷺ) من عمله بالرغم من ظاهره الذي يوحي بالأجر والعمل الصالح.

والآن لو سئل رسول اللّه ﷺ عن هذه الثروة الكبيرة (الذهب الأسود) وعائداتها الضخمة وهو يراها معرّضة لنهب الاجانب، في حين يعيش ١٤ مليون ايراني ـ من مجموع ١٥ مليون ـ في ظروف صعبة معرَّضين للموت الاصفر والاسود، محرومين من الكساء والغذاء رغم وجود هذه الثروة الطائلة.

لقد اظهر الرسول غضبه من عمل ذلك الرجل، فما هو موقفه منّا وهو يرانا نقدّم هذه النعمة الالهية الىٰ الاجانب مجاناً؟!

ان الأمر لا يحتاج الىٰ فطنة، فتمكين الاجنبي من ثرواتنا، في حين تعيش الأمّة في حال مزرية.. إن من الغباء والضعف، بل الخيانة ان يقف المرء موقف اللامبالاة تجاه مصالح أمّته، وقد قال رسول اللّه (ﷺ) «من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمؤمن ولا مسلم».

وهل هناك مصداق أفضل من هذا؛ عندما ننقذ ملايين المسلمين من الاستعباد والاستغلال؟ ولو كنّا نشعر بعمق ما نحن فيه لبكينا بدل الدموع دماً، وهل هناك من يقف غير مكترث لما يجري. واذا كان حديث رسول اللّه ﷺ لا يعني هذه المسألة، فماذا يعني اذن؟ وكيف يكون الاهتمام بأمور المسلمين؟ وهل هناك مكان لعذر ونحن نرىٰ مجتهداً عادلاً شهماً مثل آية اللّه الكاشاني يتصدّى للدفاع عن

مصالح الامة ويدافع عن حقوقها ويسعىٰ في بث الوعي، انني لا ارىٰ عذراً لأحد. محمد تقي الموسوي

الدورة السابعة عشرة

مع انتصار الحركة الوطنية والمصادقة علىٰ قانون تأميم النفط في أواخر عام ١٣٢٩ هـ. ش (١٩٥١ م) ولائحة المواد التسعة سنة ١٣٣٠ هـش، تمّ اجراء انتخابات برلمانية لتشكيل مجلس وطني قوى يمثّل ارادة الشعب في تطلعاته نحو مستقبل افضل.

وقد تزامن هذا مع انتهاء الدورة السادسة عشرة، فقد بذل آية اللّه الكاشاني الذي ظهر كزعيم للحركة الوطنية كلّ ما من شأنه في اجراء انتخابات حرّة، وكان يؤمن أن الشعب يمكن أن يساعد عبر مشاركته في مجلس قوي يصبح ظهيراً للحركة الوطنية.

وقد رافق هذه الحوادث حضور الخونساري في طهران للعلاج بعد الازمة القلبية، ولقاؤه بتجار «البازار»، واعلان دعمه للحركة الوطنية ولإجراء الانتخابات، وقد كان التجار يعوّلون علىٰ مساندة الخونساري لزعيم الحركة الوطنية والاستفادة من ثقله المعنوي في تعزيزها.

وقد تقدم التجار برسالة يستوضحون من سماحته رأيه في الانتخابات:

حضرة آية اللّه الحاج السيد محمد تقي الخونساري دام ظلّه العالي

منذ أعوام والبلاد تعيش وفق اصول «المشروطة»[١] وإن دول العالم اليوم تنظر الىٰ إيران كدولة دستورية؛ للمجلس الوطني فيها صلاحيات كاملة في التصرف في مقدّرات البلاد، وسنّ القوانين اللازمة لحمايتها، وبعبارة واحدة إن المجلس يمتلك السلطة الكافية في تحديد الشؤون الثقافية والاخلاقية والاقتصادية والسياسية وكلّ ما يتعلّق بالمظاهر المادّية والمعنوية في الحياة الاجتماعية، وتتخذ مواقف المجلس شكل القانون تسير علىٰ ضوئه الحكومة.

ومن البديهي أن القوانين النابعة من المجلس تمثّل في الواقع وجهة نظر النوّاب، وإن بعدها واقترابها أو موافقتها ومخالفتها للمصالح الوطنية والشريعة الاسلامية انما يتبع موقف وافكار وآراء النوّاب انفسهم؛ فاذا كان النوّاب اشخاصاً مؤمنين بوطنهم ودينهم، فان القوانين ستكون في خدمة الوطن وموافقة للموازين الشرعية والمصلحة الوطنية واستقلال البلاد، والعكس بالعكس. وعندها فإن ما يصدر عن المجلس سوف ينجم عنه تدمير البلاد وتسليمها بأيدي الاجانب والغرباء. وبما أن اغلبية الأمّة مسلمون مؤمنون بدينهم، فإن اشتراكها في الانتخابات وانتخاب ممثلين صالحين سيكون واجباً شرعياً، وبالتالي تشكيل جبهة قوية تقف بوجه المنحرفين، وستكون مسلّطة علىٰ مقدّرات البلاد والتصرّف بها طبقاً للمصلحة الوطنية.

---

(١) الحركة الدستورية ـ المترجم.

لذا نرجو من سماحتكم إبداء رأيكم في الانتخابات وانتخاب الرجال الصالحين الذين ابعدوا قهراً عن ميدان العمل السياسي لصالح الاعداء»
التوقيع: لفيف من تجار طهران.

وقد اجاب آية اللّٰه الخونساري بمايلي:

بسمه تعالىٰ

«اقدّر وأمّجد عواطف وآراء المؤمنين المتديّنين التي وردت في حيثيات السؤال، والتي جاءت في ظروف بالغة الحساسية تتعرض لها البلاد وتهدّد دينها واستقلالها بالخطر، ولذا فان الاشتراك في الانتخابات واجب شرعي، وابداء أي تساهل او اهمال في انتخاب ممثلين غير صالحين حرام، وهو ضربة توجه للدين واستقلال البلاد، إضافة الىٰ ما ستجرّة من نكبات وذلّ في الدنيا، ومرتكب ذلك مسؤول امام اللّٰه»

٢٠ / آذر / ١٣٣٠[1]

وقد أجّجت هذه الفتوىٰ روح الحماس في انحاء البلاء، وشهدت طهران لأول مرّة إقبالاً منقطع النظير. فقد كان عدد المشتركين في الانتخابات السابقة لا يتعدىٰ الاربعين ألفاً، فقفز الىٰ مئة وخمسين الفاً، وشهدت صناديق الاقتراع وجوهاً لم تكن تشترك فيما مضىٰ، فكانت ألفتوىٰ هي

---

(١) ١١ /كانون الأول / ١٩٥١ .

الدافع الوحيد لحضورهم عملية الاقتراع.

وهكذا تشكّلت الدورة السابعة عشرة وفْقاً للاهداف المنشودة، حتىٰ لقد علّق الدكتور مصدق رئيس الوزراء في تصريح له قائلاً:

«لدي ثقة كاملة بأن نسبة ٨٠٪ من النوّاب هم ممثلون حقيقون لارادة امّتهم، وأنهم لا يريدون شيئاً سوىٰ مصلحة البلاد».

ومن المؤسف جداً أن يتصدىٰ الدكتور مصدق لإرادة المجلس فيما بعد، وبالرغم من ثقته الكاملة بأن إرادة المجلس تمثل ـ في الواقع ـ إرادة الشعب.

لقد سعىٰ مصدق الى إضعاف المجلس وتهميش دوره، ووضَع العراقيل أمام استكمال الانتخابات فى المدن التي لم تتمّ فيها عمليات الاقتراع، ولم يكن آية اللّٰه الكاشاني الرجل الذي يسكت إزاء هذه الانتهاكات ومحاولة اضعاف المجلس الذي يمثّل ارادة الامّة، فالقضية اخطر بكثير من مسألة النفط التي ستبقىٰ محدودة، قياساً الىٰ مسألة حاكمية الامّة وإرادة الشعب.

غير أن الساسة، وعبر كيل الاتهامات الباطلة والافتراءات لشخص آيةالله الكاشاني الذي يمثّل في الواقع زعامة الحركة الوطنية، والتهويل في قضية التأميم، قد افلحت في إضعاف موقع الكاشاني.

كان مصدّق يهدف الىٰ اقصاء الزعامة الدينية عن الحركة الوطنية ودقّ الاسفين بين السياسة والدين.. الذي جاء تناغما مع الامبريالية الجديدة المتمثلة بالسياسية الامريكية التي اشترطت حذف الكاشاني من الساحة مقابل تقديم المساعدات.

السفر الاخير

لم تسفر الأشهر الأربعة التي قضاها الخونساري في العلاج، عن شفاء كامل، فغادر المستشفىٰ وهو ما يزال يشكو تعباً في قلبه.

ولم يكن أهالي همدان وعلماؤها علىٰ علم بحالته الصحية، فوجهوا له دعوة لزيارة مدينتهم وقضاء الصيف هناك. وقد لبىٰ الخونساري طلبهم، فتوجه الىٰ همدان، وبرفقته كل من: آية اللّٰه الاراكي، وآية اللّٰه الآخوند ملا علي الهمداني، وآية اللّٰه الخميني (الامام الراحل)، ونجله الاكبر آية اللّٰه السيد محمد باقر.

وفي الثالث والعشرين من «تير» عام ١٣٣١ هـ ش (١٩٥٢ م)، غادر الخونساري قم في طريقه الىٰ همدان. وبعد توقّف في مدينة ري، وصل همدان في الرابع والعشرين، حيث استقبل بحفاوة بالغة من أهالي المدينة، وذُبحت القرابين ابتهاجاً بقدومه.

واكتظّ المنزل الذي حلّ فيه الخونساري بوفود الزائرين المرحبين بمقدمه. ولم يكن الخونساري بالرجل الذي ينسىٰ اصول اللياقة، فردّ علىٰ زياراتهم بزيارات مماثلة، بالرغم مما في ذلك من العناء والتعب. وقد طلب أهالي همدان من الخونساري أن يؤمهم في الصلاة بجامع المدينة، فامتثل لذلك.

لبيك اللّهم

وفي غروب أحد الايام، وفيما كان الخونساري يرتدي ثياباً بيضاء في طريقه الىٰ المسجد الجامع، تعرض لأزمه قلبية حادّة، فهرع الأطبّاء اليه، كما

أوفد الكاشاني الدكتور مدرسي، ولكن دون جدوي.

وفي ظهر اليوم السابع من ذي الحجة الحرام من عام ١٣٧١ هـ لبّىٰ الخونساري نداء الحق، وعرجت روحه نحو الرفيق الاعلىٰ[1].

نحن من الاعالي، والىٰ الاعالي ذاهبون
قدمنا من البحر، واليه نعود
إننا من هناك، لا من هنا
من العدم الىٰ الفناء
«قل تعالوا» آية علىٰ الانجذاب نحو الحق
ونحن الى اللّٰه تعالىٰ ذاهبون
فتذكّر رفاقك، وزادك، والمنزل
وتذكر أننا الىٰ ما نحن عليه ذاهبون[2].

رحيل المرتضىٰ

كان آية اللّٰه البروجردي حينها في قم، في تلك الليالي المباركة من ذي الحجة الحرام، وكان متعباً بسبب بحوثه وتحقيقاته المتواصلة، وقسط من النوم يكفي في إزاحة التعب والشعور بالارهاق، فأوىٰ الىٰ فراشه، وقد مضىٰ شطر من الليل؛ وفي عالم الرؤيا شاهد السيدُ البروجردي السيدَ (مرتضىٰ

---

(١) مجلة (مجموعه حكمت) السنة الاولى العدد ١٢ ص٤٨.

(٢) اشعار لمولانا جلال الدين.

علم الهدىٰ) وهو تلميذ شيخ الطائفة (الطوسي رحمه اللّه) ميتاً، وقد جاءوا بجنازته الى قم، فاستيقظ من نومه متعجّباً، وتساءل في نفسه: ماذا يعني؟.. أين قم من المرتضىٰ، وأين المرتضىٰ من قم؟! ثم اغمض عينه مرّة أخرىٰ.

وفي الصباح وصلت انباء الفاجعة من همدان برحيل آية اللّٰه الخونساري الىٰ عالم الملكوت. وهنا ادرك البروجردي سرّ رؤياه.

ولقد كان البروجردي دائم الاهتمام بصحة الخونساري، وطالما سمع عنه قوله: «حافظو علىٰ السيد الخونساري.. حذار أن يرحل من بين ظهرانينا».

امواج الحزن

وفي ليلة السبت، الثامن من «شهريور» ١٣٣١ (ايلول ١٩٥٢) ، اذاع الراديو نبأ رحيل العالم الرباني آية اللّٰه الخونساري الىٰ الرفيق الاعلىٰ، وقد تزامن النبأ مع ذكرىٰ شهادة الإمام محمد الباقر خامس ائمة أهل البيت عليهم السلام ، وقد عمّت البلاد موجة من الحزن العميق، وأعلنت الحكومة ذلك اليوم عطلة رسمية، وقطعت الاذاعة برامجها العادية وبثّت ـ بدلها ـ تلاوات من القرآن الكريم كما اُلغيت مهرجانات للألعاب النارية كان من المقرر اجراؤها ليلة عيد الاضحىٰ في ميدان «سپه» (الجيش).

وتعطّلت الدراسة في الحوزات العلمية في البلاد وخارجها[1] وصدرت

(١) كما تعطلت الدراسة في الحوزة العلمية في مدينة النجف حداداً.

بيانات بهذه المناسبة من قبل الاحزاب والجمعيات.

خريف الحزن

كان الخريف حزيناً في همدان. العيون يطلّ منها الحزن، وتسيل منها الدموع.

آية اللّه «درعماري» يسكب ماء الغسل علىٰ الجسد الطاهر ثم يلفه بقماش ابيض بياض الثلوج في القمم، والشهر ذو الحجة، والحجيج يطوفون حول الكعبة بثياب الاحرام البيضاء، والخونساري يرتدي ثوبه الابيض ويرحل الىٰ الاعالي.

الجسد الساكن يستقرّ فوق سيارة الاسعاف لتنطلق به الىٰ قم، والباصات التي تغصّ بالهمدانيين المشيّعين تتبعها، وعلىٰ ابواب طهران تلتقي القافلة سيارات قادمة من قم، وتلتحم بالقافلة، وعلىٰ بعد ستة كليومترات عن المدينة المقدسة، التي خرج اهلها عن بكرة ابيهم، بلغ الازدحام حدّاً عرقل مسير السيارات.

واُخرج التابوت من السيارة، وطافت به أيدي عشرات الألوف.. الىٰ مثواه الاخير في حرم السيدة المعصومة فاطمة بنت الامام موسى بن جعفر (عليهما السلام).

وكان آية الله البروجردي يكفكف دموع الحزن وهو يتهيأ لإقامة صلاة الميت علىٰ روح الفقيد الكبير؛ ليدفن في جوار استاذه العظيم؛ آيةالله

الحائري.

في عزاء الحبيب

بدا آية اللّٰه الكاشاني غارقاً في حزن مرير، ولقد حاول من قبل ـ بإرسال أمهر الاطباء ـ دفع شبح الموت عن رفيق جهاده. لقد انثلم ركن متين من اركان الجهاد.

وتداعت أمامه الذكريات القديمة، لرفيق دربه. لقد كان الخونساري شمعة ظلت تتوهج وتحترق إلىٰ أن ذابت ثم انطفأت. فبكته العيون وحزنت من اجل فقده القلوب.

كان الكاشاني يومها في مكة لأداء العمرة ولدعوة علماء المسلمين لحضور مؤتمر الوحدة الاسلامية في ايران، فأبرق من هناك:

أُعرب عن عميق حزني وتأثري لرحيل آية اللّٰه الخونساري «قدس سرّه». لقد كان من ذخائر الاسلام الكبرىٰ، وكان مجاهداً في سبيل اللّٰه، نذر حياته لخدمة العالم الاسلامي والوحدة الاسلامية، وكان عصارة الزهد والتقوىٰ؛ واجد من الضروري هنا: أن اتقدم بأحرّ التعازي الىٰ اخواني الاعزاء، خاصّه الخلَف الامجد للمرحوم.

وفي برقية أخرىٰ وجهها الىٰ نجل الخونساري الاكبر، طلب فيها إقامة مجلس للعزاء ليلة السابع من رحيل الفقيد في الصحن المطهر لمعصومة قم بالنيابة عنه.

وفي مناسبة الاربعين، توجّه الكاشاني الىٰ قُم لزيارة المرقد الطاهر لرفيق دربه.

دموع علىٰ الراحل

يروي آية اللّه الاراكي ذكرياته عن تلك الفترة:

كان آية اللّه الخميني معنا في همدان وبقي مدّة ثم ودّع آية اللّه الخونساري وعاد الىٰ قم، امّا أنا فبقيت لحين وفاة آية اللّه الخونساري، وفي الطريق بين طهران وقم رأيت آية اللّه الخميني في جموع المستقبلين، وكان يبكي بحرقة عجيبة، حتىٰ ان كتفيه تهتزّان بشدّة. لقد شاهدت الكثير يبكي بصمت، وشاهدت بكاء أولاده، ولكن بقي بكاء آية اللّه الخميني فريداً جداً [١].

الفقه السياسي

أولىٰ آية اللّه الخونساري للفقه السياسي اهمية بالغة، لما في ذلك من دور في الحفاظ علىٰ كيان الأمة وبقاء هويتها الاسلامية.

لقد مزج العلم بالعمل، وترجم آراءه وأفكاره الىٰ مواقف صلبة، جاهد الانكليز عن عقيدة وايمان، وتعرض للسجن والنفي والعذاب، وكان رأيه في

---

(١) انهىٰ الامام الخميني(قدس سره) مرحلة السطوح لدىٰ آية اللّه الخونساري.

وجوب صلاة الجمعة نابعاً عن رؤيته البعيدة المدىٰ، وفي ظروف الاحتلال حيث الظلال القاتمة والمؤامرات التي تحاك في الظلام، كـان الخـونساري مستيقظاً يحرس امته من انياب الذئاب.

وكانت إقامته لصلاة الاستسقاء، وهطول الامطار كرامة منّ اللّٰه بها عليه وهفتْ الىٰ دين اللّٰه قلوب كثيرة حائرة.. قلوب فتنتها اضواء الغرب.

لقد كانت مواقفه في غاية الشجاعة، فدعمه لحركة «فـدائـيان اسـلام» الثورية أمدّها بزخم كبير وعزز من موقفها أمام الحاكمين، وكذا دعمه لفتوىٰ الكاشاني في تأميم النفط، ومساندته له في كل مـواقـفه، واخـيراً تـصديه لمؤامرة خلع الحجاب.

لقد رحل الخونساري، وترك وراءه إرثاً كبيراً في الجهاد.. ترك لنا الكثير من الدروس والعبر في التضامن، والتكاتف، وتلاحم الايدي لتكون المواقف أقوىٰ، وليكون المسلمون سدّاً في مواجهة من عداهم.

لقد رحل الخونساري، وترك تلميذه العظيم «الامام الراحل» ليـواصـل ذات الدرب المرير، وليوجّه الضربة الاخيرة الىٰ الكـيان الفـاسد المـتمثل بالحكم الشاهنشاهي البائد.

مصادر الكتاب

١ . آثار الحجة ج ١ / محمد شريف الرازي .

٢ . تاريخ سياسي معاصر ايران ج ١ / د. سيد جمال الدين مديني .

٣ . سيماى فرزانگان ج ٣ / رضا مختارى .

٤ . علماى بزرگ شيعه از كلَيني تا خميني / صرفاد قاني .

٥ . علماء معاصرين / ملا على واعظ خياباني تبريزي .

٦ . نهضت روحانيون ج ١ / على الدوانى .

٧ . دائرة المعارف تشيّع ج ١ / الناشر: بنياد اسلامى طاهر .

٨ . مجلة (كيهان انديشه) / العدد ٤ سنة ١٣٦٤ هـ. ش .

٩ . مجلة (كيهان فرهنگى) / العدد ١٢ السنة الثالثة (١٣٦٥ هـ. ش) .

١٠ . مجلة (پيام انقلاب) / العدد ١٢٦ .

١١ . مجلة (نور علم) / العدد ٦ سنة ١٣٦٣ هـ. ش .

١٢ . مجلة (حوزه) / الاعداد ١٢ ، ٣٦ ، ٣٧ .

المصادر العربية

١٣ . الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤ ـ ١٩٢٠ / حسن العلوي .

١٤ . لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث. ج ٤ /د. علي الوردي.